المقتطف

مجلة فصلية أدبية ثقافية.. تصدر عن موقع بلد الطيوب
السنة الحادية عشر العدد:77 ربيع 2012 (مارس)



The War Beings

(Sculptures of Libyan Revolution 2011)
By Mohammad Bin Lamin

المقتَطَف

مجلة أدبية، ثقافية، فصلية. تصدر عن
موقع بلد الطيوب

السنة الحادية عشر | العدد: 77
ديسمبر
شتاء 2011

للمراسلة
info@tieob.com
almoqtataf@post.com

طرابلس – ليبيا
ص.ب: 1911
بريد امحمد المقريف

محتويات العدد



لوحات العدد للتشكيلي الليبي

محمد بن لامين

مجلة المقتطف

الافتتاحية

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012



رسائل لثوار ليبيا

رامز رمضان النويصري

للحظة ما كنت قد وصلت لقناعة بأننا كشعوب عربية، قد وصلنا للنقطة التي لا يمكننا الحراك بعدها، نقطة التشبُّع، راضين بسطوة حكامنا وأنظمتهم علينا. قد يكون نوعاً من جلد الذات، ونوعاً من الوهن، حتى عند خروج التونسيين للشوارع مطالبين بسقوط نظام (بن علي) لم أكن متفائلاً، أو لم أصل لدرجة منه تؤهلني بقدرتهم على إسقاطه، حتى حدثت المفاجأة، وخرج "بن علي"، ومن بعده "مبارك" ولحقهم "القذافي".

*** *** ***

رسالة 1/ تكامل:

المهندس "عيد" كان متحمساً في حديثة عن الثورات العربية في تونس وليبيا مصر، وسوريا، ثم صمت، وأغمض عينيه للحظة، وأضاف:

– آه لو يتحقق الحلم في تكامل ثلاثي يجمع، مصر وليبيا والسودان.

رسالة2/ حافظوا عليها:

العم "سمعان" سائق، يقول:

– عشت في ليبيا 3 سنوات، كانت كلها خير، ولولا بناتي لبقيت؟

لنذهب في حديث عن العادات والحياة الاجتماعية في ليبيا، وعن (البوريم) أكلته المفضلة، بعد (الكسكسي)، عند وصولنا لمحطة نزولي:

– أنتم في ليبيا، اجتزتم الصعب واستطعتم بإصراركم وقوة إيمانكم الإطاحة بالطغاة، الأهم الآن هو محافظتكم على ثورتكم، الخروج بها إلى بر الأمان.

رسالة 3/ العمل.. العمل:

– عملتُ بمطاري (بنينة) و(طرابلس)، كنا نعمل حتى ساعات متأخرة، كأنا فريق واحد، لم أحس بفرق، كوني أردني.

دخلنا في حديث طويل عن شركات الطيران العربية، ومنها لحديثٍ عن ليبيا:

– في ليبيا، أكثر ما تحتاجونه الآن العمل، والعمل فقط، فهو ما سيمكنكم من التقارب من بعضكم البعض، والالتحام، لبناء ليبياكم الجديدة.

رسالة 4/ صبراً:

المهندس "مصطفى" خمسيني، لا تفارق الابتسامة وجهه. أعلق:

– من جيراني، عائلة سودانية لها ثلاث شباب، خلال فترة الأحداث رفض الأولاد الذهاب للسودان، وترك ليبيا، قالوا: ولدنا هنا، ولا نعرف إلا ليبيا.

– أعرف أكثر من عائلة لها ابن أو أخ يعمل في ليبيا.. المهم الآن هو صبركم على حكومتكم، ومنحها الفرصة للعمل.. الضغط الآن ومطالبتها بما لا تطيق، سيعطل عملها ويربكها، ويجعل من حركتها بطيئة.

رسالة 5/ تقاربوا:

قبل مغادرته رفقة طائرة عائداً إلى (نيجيريا)، أصر "دانيال" على الاجتماع بنا نحن الخمسة:

– ...، الوقت الآن للتلاحم والعمل الجماعي. احضنوا بعضكم، وساعدوا بعضكم. لا تجعلوا

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

الآخر يمد يد المساعدة، بادروا بالمساعدة. لا تستمعوا للأصوات النشاز، إن تريد تضليلكم. أحموا بعضكم.

على سلم الطائرة:

- ليحفظ الله ليبية.

رسالة 6/ لا تفشلونا:

على الهاتف كان صوته متهللاً:

- الله أكبر، الله أكبر، والله فرحنا لكم يا أخي، كل السعوديون يباركون ثورتكم على الطاغية.... بس بالله لا تفشلونا، وحافظوا على نقاء ثورتكم من الأحقاد والثارات.

رسالة ليست الأخيرة:

الله الله في ثورتنا.

***   ***   ***

كنت أقول إن زمن الثورات الشعبية انتهى بانتهاء القرن العشرين، وأن الشعوب لم يعد لها من قوة أمام آلة القمع العربية، التي عمل الحكام العرب على تطويرها وتحسين آلياتها بما أوتوا من حكمة وعبقرية، فتحول كل المجهود من أجل تثبيتهم على الكراسي. لقد أعادني المواطن العربي البسيط إلى الواقع، وأن الحياة ليست ما نقرأ في الكتب وما نتابع من تحليلات، وأنها حبلى بالجديد وغير المتوقع، دائماً.

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

مجلة

المقتطف

السنة الـ11

العدد: 77

مارس / ربيع 2012

المقالات



On One Foot
Sculptures of Libyan Revolution 17. Feb 2011
By Mohammad Bin Lamin. © 2011

حاضر ليبيا ومستقبلها: القبيلة والديمقراطية وأشياء أخرى

مجلة المقتطف

المقالات

السنة الـ11

العدد: 77

مارس / ربيع 2012

أبوالقاسم اشتيوي

ما أن أدرك القذافي الأبعاد الفعلية للحدث الليبي وتشعباته الدولية، حتّى سخّر وسائط إعلامه لترويج فكرة مفادها هيمنة الظاهرة القبلية على تكوين المجتمع الليبي, وأنَّ ما يحدث لا يعدو أن يكون محاولة بعض القبائل مغالبة ما عداها في صراع بيّن على السلطة يتجاوز أية حقوق مطلبية ينادي بها البعض. وكانت غايته إفهام العالم أنَّ ليبيا ذاهبة حتماً إلى حربٍ أهلية بحكم ذلك التكوين، ما سيفضي لاحقاً إلى فشل الدولة الليبية القائمة ودخول المنطقة جرَّاء ذلك مرحلة من الفوضى ستزعزع استقرارها. وهو ما ردَّت عليه الأصوات المحسوبة على الثورة بالقول إنَّ المجتمع الليبي تطوَّر إلى حدٍّ تلاشت عنده أية وظائف سياسية أو اقتصادية كانت القبيلة تؤديها فيما مضى، بحيث أضحت مجرد "مظلةً اجتماعية" بحسب التوصيف الأثير لدى غالبية تلك الأصوات. ما يهمنا فيما سبق أنَّ الطرفين متفقان أقلَّه على غلبة التكوين القبلي في المجتمع الليبي, وأنَّ اختلافهما محصور في طبيعة الوظائف التي تؤديها القبيلة خدمةً لأفرادها.

ولا يقتضينا الحديث عن دور القبيلة اعتماد تعريف مُحدَّد لها إذا سلَّمنا بوجودها في حدِّ ذاته، فماهية هذه الوحدة الاجتماعية يمكن إغفالها إذا كُنَّا معنيين فقط بالآثار الظاهرة لدورها على مكونات محيطها الأخرى. ومستهل الحديث سيكون الإشارة إلى نمطين من الروابط من بين أنماط أخرى فاعلة في تكوين المجموعات أو الوحدات الاجتماعية مثل العرق أو الدين أو المذهب أو الحرفة أو سواها من الأطر المحدِّدة الأخرى، وأعني بهما رابطة القُربَى (مرجعيتها جدٌّ أعلى مُفترَض) ورابطة المكان (مرجعيتها إقليم، مدينة، حي ... الخ). وسنركِّز على هاتين الرابطتين لغلبتهما الجغرافية والسكانية في المجتمع الليبي. وما يعنينا بشأنهما هو قيامهما على مفهوم العصبية الذي لا تختص به رابطة القربى دون سواها من الروابط، الأمر الذي يجيز لنا التوسع في استخدام مصطلح قبيلة ليشمل طرابلس أو مصراته أو درنة مثلما هو شاملٌ لورفلة أو العبيدات أو العواقير على سبيل المثال.

أمَّا وقد سلَّمنا بوجود المكوِّن القبلي في المجتمع الليبي، فلنا أن نتخطَّى كثرة من المسائل النظرية المتعلقة بالقبيلة لنقفز مباشرة إلى السؤال المركزي الذي يعنينا في الحالة الليبية: هل حقاً جُرِّدت القبيلة، قسراً أو بحكم التطور، من أية وظيفة تتداخل مع الوظيفتين الرئيستين للدولة وهما فض النزاعات وتوزيع الفائض الاقتصادي (الغنيمة بلغة الموروث القبلي)؟ لنتدبر واقعتين واكبتا مسيرة

الثورة في ليبيا كي نتبيّن مدى ارتباطهما بدور القبيلة الفعلي المسكوت عنه، والبداية ستكون باستعراض واقعة اغتيال رئيس أركان الجيش الوطني اللواء عبد الفتاح يونس. ولن نُعنى في تناولنا لها بتفاصيلها الأمنية وبتلمس حقائقها اعتماداً على تصريحات المسؤولين في المجلس الانتقالي أو ما تناقلته وسائط الإعلام بشأنها. إننا معنيون فقط بموقف قبيلته من حادثة اغتياله بغض النظر عن صوابية ذلك الموقف من عدمها. فكل ما نرمي إليه هو ربط ذلك الموقف بفكرة الدور الذي قلنا إنَّ القبيلة ما زالت تؤديه على الساحة الليبية. وفي هذا الصدد وجّهت قبيلة الفقيد رسالة واضحة، عبر وسائط الإعلام والإعلان، مفادها أنها تُمهل المجلس الانتقالي أجلاً سمّته لإحقاق الحق والاقتصاص من الجناة، وفي حال فشله فإنها ستستوفي حق فقيدها بذاتها. إنَّها الرسالة المعبِّرة عن الدور الفعلي الذي تضطلع به القبيلة في ليبيا، وهي موجَّهة في المقام الأول إلى أفرادها لشدِّ عصبهم وتقويته، ولكنها في الوقت ذاته تُظهر "للآخرين" منعة هذه القبيلة وهيبتها.

الواقعة الثانية تتعلق بالتدابير الأمنية والعسكرية التي اتخذتها قبيلة مصراته لمنع جحافل القذافي من اجتياح مدينتها المحاصَرة. لقد اعتمد المعنيون بالدفاع عن المدينة نهج اجتثاث كل البؤر التي رأوا فيها خطراً داهماً يتهدد مدينتهم وثوارها, ومن ضمن ذلك "تطهير" المدينة من كل العناصر التي عدُّوها طابوراً خامساً يوالي النظام ويدافع عنه مثل قبيلة تاورغاء. وعلى الرغم من القسوة الظاهرة لتلك التدابير بالنسبة للمراقب الخارجي، فإنَّ سكان المدينة المحاصرة اعتبروها مشروعة ومبرَّرة بالنظر إلى أعمال القتل والخطف التي قالوا إنَّ الطابور الخامس نفذها داخل مدينتهم، وكذلك بالنظر إلى الخراب والويلات التي قالوا إنها تنتظرهم فيما لو نجح الاجتياح. تبعات الواقعة لم تتوقف عند هذا الحد، فعقب دحر الكتائب المهاجِمة وتحرير مصراته لم يكن أمام قبيلة تاورغاء سوى إخلاء البلدة على عجل تحسباً لأية أعمال انتقامية ضد إفرادها. ومثلما هو الحال بالنسبة لقبيلة العبيدات، نحن معنيون فقط بموقف قبيلة مصراته تجاه تاورغاء بغض النظر عن صوابية ذلك الموقف من عدمها. إنه يعبِّر عن الدلالة ذاتها التي حملتها رسالة قبيلة العبيدات، غير إنها صِيغَت هذه المرة بلغة قبيلة مصراته ومفرداتها.

يقول المدافعون عن القبيلة إنَّ القضيَّتين السابقتين ستجدان طريقهما إلى الحل لوجود عقلاء في القبيلتين يعملون على درء الفتنة وإخماد بوادرها. ولكن ما الذي سيحدث لو لم يكن بين القوم رجل رشيد؟ هنا يُستبَان الفرق بين دولة المؤسسات والقانون، القادرة على التعامل مع الطوارئ وفق إجراءات مُتَّفق عليها سلفاً ضمن إطار قانوني سارٍ، وبين رد فعل جمعي تحرِّكه عصبية الانتماء قد يُشعل فتيل نزاع يمتد ليحرق كل شيء. وتؤكِّد هاتان الواقعتان أنَّ القبيلة في ليبيا ما زالت تؤدي دوراً يتجاوز مفهوم "المظلة الاجتماعية" الغائم إلى دور فاعل يتناقض مع مفهوم سيادة الدولة، القائم على احتكار الأخيرة لوظيفتي فض النزاعات وتوزيع الفائض الاقتصادي. والوظيفة الأخيرة هي الدافع الخفي وراء كل الحراك القبلي بما في ذلك النزاع مع القبائل الأخرى. ما حدا

بمحمد عابد الجابري إلى القول بأنَّ "القبيلة معزولة عن الغنيمة هي مقولة مُجرَّدة وقالب فارغ"، بمعنى أنَّ المحاصصة الاقتصادية تقف وراء النزاعات وسُبل فضها. وهي الوظيفة أو الدور الذي يُعاد إنتاجه ليتوافق مع مفهوم الدولة الحديثة وأجهزتها. ويتضح طرح الجابري بشأن الغنيمة في حادثة تُروى عن أحد "أمناء اللجنة الشعبية لمدينة بنغازي"، حيث قصده وفد من قبيلته يريد إتمام معاملة إدارية ما. وحين أجابهم بأنَّ مطلبهم مخالف للقانون ردُّوا بأنَّه "لو كان قانونياً أصلاً ما جئناك". إنه فرد في القبيلة، ومنصبه وكل المنافع التي يمكن أن يجلبها غنيمة للقبيلة يجب أن تُوزَّع على كل أفرادها!

ما مآل الأمور في الدولة الليبية الناشئة إذا كانت الغلبة لهذا التوجه؟ قد نتبيَّن ملامح إجابة عن تساؤلنا باستشراف بعض ما ينتظرنا عقب المرحلة الانتقالية، حيث صُوَرْ مرشحي السلطتين التشريعية والتنفيذية تحتل فضاءات الأماكن العامة وتتصدر وسائل الإعلام "الحرَّة". مَن مِن أولئك المرشحين يملك قاعدة ناخبة وطنية عابرة للعائلات والقبائل؟ كم من المرشَّحين بينهم يمثلون شخصيات عامة استناداً إلى برامج وممارسات سياسية معلومة إبَّان حكم القذافي؟ لا أحد تقريباً! وماذا بشأن حملات المرشَّحين الانتخابية، هل ستُفلح في تغيير وجهات اقتراع كثرة من الناخبين؟ كم هو مؤسف أنَّ الإجابة ستكون بالنفي مرة أخرى. إذا صح أنَّ هذا هو واقع الحال، فأين تكمن القوة النَّاخبة الأساسية إذن؟ إنَّ وسيط السلطة الفعلي سيكون شيخ القبيلة، وهو ما يعبِّر عنه الباحث عبد العزيز الحيص بالقول إنَّ "مشايخ القبيلة يستدعون قوتهم الاجتماعية متى أرادوا. وقوتهم هذه كانت تتجسد في دعم أفراد قبيلتهم، لقد جعل الولاء والتضامن الجبري من القبيلة كياناً ذا خصوصية في المجتمع الحديث، قوي التأثير، ومعطلاً لقدرة العديد من الأفراد على التواصل مع مؤسسات الدولة الحديثة ... فانتماء الفرد [إلى قبيلته] انتماء جبري لا يُبنى على حرية الفرد، أو اختياره"، ما يناقض فكرة أنَّ الفرد يمثل وحدة البناء في المجتمعات المدنية الحديثة. والمقصود بذلك أنَّ معظم الأحزاب في ليبيا ستُشكَّل على أساس قبلي لا يملك العضو فيها حرية الاختيار لأنه مُجبَر بالسير وراء اختيار القبيلة. وهكذا تعود البلاد إلى الدوران في الحلقة القبلية المفرغة التي لم تخرج منها على امتداد عهودها الملكية و"الجمهورية" و"الجماهيرية". ولا أدل على اختلاط المفاهيم لدى المعنيين بالشأن القبلي من تركيبة وفد القبائل الليبية الذي زار الدوحة مؤخَّراً، فأحد أعضائه يشغل منصب رئيس الاتحاد العام لمنظمات المجتمع المدني في ليبيا! المجتمع الذي يناقض فكراً وممارسةً كل ما يمت للقبيلة بصلة. على أية حال، من يود الاستزادة والتفصيل، بشأن الحالة القبلية في ليبيا وشذوذها عن بقية الوطن العربي، يمكنه الرجوع إلى ما كتبته الباحثة ليزا أندرسن بالخصوص.

إنَّ الفكر القبلي فكرٌ إقصائي بطبعه على مر التاريخ. وشاهد ذلك، إذا جاز التعبير، "انتخابات" السقيفة التي جرت بين المهاجرين والأنصار لحسم مسألة الخلافة، فكان أن حُسمت بالشعار

القبلي "منّا الأمراء ومنكم الوزراء" المسوَّغ سياسياً باعتبار اللحظة التاريخية! وتلا تلك الواقعة فهم خاطئ لنصٍ نجم عنه تكريس الإمامة العظمى في قريش. تُرى ما مدى الإحباط الذي سيصيب مليار مسلم من غير العرب يُقال لهم بكل فضاضة إنهم ليسوا أهلاً لإمامة المسلمين؟ ولربما قِيل لهم ذلك عقب صلاة جهرية قرأ فيها الإمام ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾؛ إقصاء مطلق لا يجيز حتى إمامة المفضول في وجود الأفضل على رأي الزيدية. إنَّ الآخر من منظور قبلي محض لا يخرج عن كونه واحداً من اثنين: عدو محارب أو عدو محايد، ما يقطع الطريق أمام التعددية التي تقوم عليها فكرة الدولة الحديثة.

واستطراداً في الحديث عن الانتخابات القبلية "الحرَّة" المقبلة سنتناول مقولة لا يتوقف الجميع، رياءً أو اقتناعاً، عن ترددها والترويج لها مفادها أنَّ المرأة نصف المجتمع، وأنَّ تقدمه رهن بتحريرها وتمكينها في جميع المجالات. فكل الأصوات تقريباً، ابتداءً من بعض شيوخ السلفية ومروراً بالوسطيين وانتهاءً بالعلمانيين، تنادي بوجوب إشراك المرأة في إدارة شؤون الدولة عند أعلى المستويات التشريعية والتنفيذية. ولكن عندما يحين أوان الالتزام بهذا التوجه في أية انتخابات قادمة، الالتزام الذي سيكون مدعوماً دون أدنى شك بإصرار الغرب على "تحرير" المرأة وتمكينها، مَن مِن القبائل التي تعتد بإرثها العربي سترضى أن تُقدِّم نسائها على رجالها لمنصب النيابة أو الوزارة؟ من منها سترضى بانتقال القوامة من الرجال إلى النساء إذا ما تُرك الأمر لشيخ القبيلة وقوله الفصل؟ من يظن أنَّ هذه النظرة مغرقة في التشاؤم عليه ألاَّ ينسى أنَّنا أحفاد من نزلت فيهم ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيم ﴾. أبناء من لازال بعضهم لا يورِّثون الأنثى أرضاً كي لا تصير ملكاً "للآخر" إذا تزوجت في غير قبيلتها! حتى المتنبِّي، حكيم العرب وشاعرهم، تناول تفضيل النساء على الرجال في بيت شعر تصدرته أداة الشرط "لو" التي يمتنع جوابها لامتناع شرطها. أليس هو القائل في رثاء أم سيف الدولة: وَلَو كانَ النِساءُ كَمَن فَقَدنا   لَفُضِّلَتِ النِساءُ عَلى الرِجالِ. إنَّ حلَّ هذه المعضلة لن يتأتَّى إلاَّ بتدوير المناصب النسوية بين القبائل كي يتفرق عارها بينها كافة!

هل يتوقف ضرر هيمنة الفكر القبلي على مستقبل البلد عند هذا الحد؟ لمعرفة ما نحن مُقبلون عليه سنفترض أنَّ ثروات البلد عادت إلى أهلها في ظل حكومة رشيدة جاءت بها انتخابات قبلية "حرَّة". ما الذي ستواجهه هذه الحكومة إذا حاولت التحرُّر من هيمنة الاقتصاد الريعي، وذلك بتنمية القطاع الزراعي والنهوض به تحقيقاً لأمن ليبيا الغذائي على سبيل المثال؟ ستواجه المشكلة الملحَّة ذاتها التي أشارت إليها بعثة البنك الدولي في الصفحة 31 من تقريرها رقم 11136 لسنة 1960 بشأن التنمية الاقتصادية لليبيا. حيث يشير ذلك التقرير إلى مواد الدستور المتعلقة بحيازة الأرض ليخلص إلى ما ترجمته أنَّ "البعثة تدرك مدى تجذُّر العادات والأعراف القبلية، وبأن أية

مقترحات لتغيير الوضع القائم سَتُواجَه في نهاية المطاف بقدر من التعنت لا يستهان به. بيد أننا مقتنعون بوجوب إحداث تغييرات عاجلة إذا ما ودَّ الليبيون التأسيس لزراعة مزدهرة". هل طرأ أي تغيير عقب مرور ستة وأربعون عاماً على صدور ذلك التقرير؟ كلاَّ، فالأمور ما زالت على حالها وما زالت حيازة القبيلة الفعلية للأرض تقف حجر عثرة في وجه تطبيق أية برامج تنموية. فالنسخة العربية من مسودة تقرير البنك الدولي رقم LY-30295 لسنة 2006 تعزو في بنودها المرقمة 152 . 155 غياب الاستثمارات الأجنبية المباشرة (التي سنحتاجها شئنا أم أبينا) إلى "... صعوبة الوصول إلى الأراضي الصناعية و[إلى] الغموض الذي يشوب وضعية حق التملك ... [وإلى حاجة] القوانين الأساسية المتعلقة بالأراضي ... إلى إعادة النظر كي تكون منسجمة مع شروط تسيير نظام اقتصاد السوق ... ولعل أبرز الأمثلة على الغموض والشكوك [المحيطة] بالسياسات التي انتابت قطاع الأعمال في ليبيا ... تتمثل في ... الالتباس والغموض في القوانين المتعلقة بملكية الأراضي ...".

بوصول حديثنا عن القبيلة إلى هذا الحد، لابد لنا من العودة إلى الواقعية التي تمليها طبيعة القيم الاجتماعية المتجذرة في المجتمع الليبي، واعتبار كل ما ذُكر مجرد سرد لأفكار ربما فاتت البعض في طرحهم للمسألة القبلية وعلاقتها بمجريات الأمور خلال المرحلة الانتقالية وما يليها. فالطبيعة المطلقة للقيم الاجتماعية تنص على ديمومة فعاليتها ردحاً من الزمن عقب زوال المؤثِّر الذي رسَّخها. بمعنى أنَّ معتنقيها لن ينبذوها في التو والحين تنفيذاً لقوانين صدرت بشأنها، ذلك أنَّ الزمن وحده كفيل بإضعاف رسوخها ومن ثم زوالها في وجود التشريعات المناسبة التي تساعد على ذلك. والتزام هذا المسار الزمني، مُعزَّزاً بتعليم منفتح وبتشريعات تعيد إلى الدولة كامل سلطتها في مسألة فض النزاعات وتوزيع الفائض، سيُجنِّب البلاد نشوب صراع حاد بين جديد قيمها وقديمها، كما سيساعدها على ارتقاء سلم التقدم تَدرُّجاً بعيداً عن أيَّة خضات اجتماعية قد تطيح بمشروعها النهضوي.

إنَّ الاستقرار والتقدم المنشودين لن يتحقَّقا إلاَّ في وجود دولة عادلة تتمثل فيها كل مكونات المجتمع الليبي بعيداً عن أية ممارسات إقصائية. دولة تعتمد سياسة تنمية متوازنة وفق ما تمليه الضرورات الاقتصادية والجغرافية. آنذاك، وآنذاك فقط، ستزول مخاوف وهواجس البعض المبرَّرة من سيطرة فئة بعينها على مقدرات البلاد وخيراتها. آنذاك سيُصدِّق الناس وجود وطن يجمعهم اسمه ليبيا، وسيلتفتون إلى قضايا العلم والعمل والإبداع التي تتوسلها بقية الأمم لتحقيق تقدمها. إنَّ إزالة المخاوف والهواجس سالفة الذكر لن تتحقق إلاَّ إذا كانت سلطات تلك الدولة التشريعية والتنفيذية والقضائية، إلى جانب سلطتها الرابعة، تعمل مجتمعة بتشريعاتها وأوامرها التنفيذية وأحكامها وتحليلاتها على تعزيز الثقة بين مكونات المجتمع الليبي، في مسعىً لإخماد النزعة الانعزالية

عند بعضها. وهي النزعة التي قد تؤدي آجلاً إلى تفكُّك البلاد وتجزئتها إلى أكثر من ولاياتها التاريخية الثلاث.

حتَّى الساعة تؤكِّد معظم التحليلات أنَّ مقتضيات أمن أوروبا ستمنع انزلاق ليبيا إلى هاوية الفوضى والاحتراب الأهلي. ولكن إذا اقتضت المتغيرات الدولية الموافقة على التقسيم فإنَّ بابه سيُفتَح على مصراعيه ولن يتوقف عند حدود فدرالية العام 1951 كما يتوهم البعض. وليراجع من تساوره أية شكوك بهذا الشأن انفصال الجنوب عن السودان، وما يعدُّ للأخير لاحقاً في دارفور وكردفان. فليبيا، شأنها شأن السودان، تقبل القسمة بخط متعرِّج جديد (وربما بأكثر من خط في اتجاهات مختلفة) يمتد من الحدود الجزائرية إلى مثيلتها المصرية. وهذه القسمة سَتَحُلُّ الكثير من مشاكل أوروبا السياسية (الهجرة غير الشرعية وبعض المشاكل الأثنية على سبيل المثال) وتحفظ لها معظم مصالحها الاقتصادية في الإقليم. هل تريدون مؤشّراً على ما يمكن أن تتطور إليه الأمور في هذا الاتجاه؟ منذ أيام قليلة فُرِّغت بلدة تراغن من كل سكانها العرب وهُجِّروا لاجئين داخل "وطنهم" إلى مدينة سبها! فهل نسينا أنَّ آخر رهانات ملك ملوك أفريقيا قبل مصرعه كان استحداث دويلة أفريقية جديدة وفق المعطيات السابقة؟ الأمر الذي ما زال قابلاً للتحقق لوجود الدافع السياسي لدى غالبية المكونات السكانية لتلك المناطق، ولوجود كثرة من رموز نظامه حرة طليقة قد تعمل بما لديها من مقدرات على تحقيق حلمه إذا تهيأت لها الظروف. متمنياً ألاَّ يتحقق هذا السيناريو، أدعو بعض الحالمين إلى فتح الأطالس لمعرفة مواقع مصادر احتياطيات النفط المؤكَّدة ومصادر مياه الشرب في ليبيا.

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

لولاكِ يا " لولا".. ما كانت هناك ثورة!

عبد النبي بوسيف ياسين

ليس سرّاً خافياً على أحد، أنه لولا أن حرق الشاب البوعزيزى نفسه إحتجاجاً على معاناة المحرومين، لما قامت ثورة الشعب التونسي.

ولولا، ثورة تونس لما اشتعلت ونجحت ثورة الشعب المصري.
ولولا قيام هاتين الثورتين العظيمتين، أوّلاً، وقبل ثورتنا.. لما كُتب لثورتنا أن تلقى سنداً خارجياً، وحدودنا الشرقية والغربية يحرسها طغاة وشركاء لملك ملوكهم أجمعين.. وتذكّروا أن طاغية آخر ثالث، فى جنوب غرب بلادنا، فعل كلّ ما بوسعه لإجهاضها، وكاد، لولا عون الله، وعزيمة ثوّار شعبنا.

غير أنّ ثورة الشعب الليبي، كانت نتاج لـ "لولات" عديدة أخرى.. بدأت بمبادرات شعبية عفوية – وبعضها فردية– كردّ فعلٍ على قرارات واستفزازات غبية، قام بها النظام القذافي.. وفى كلّ مرّة، فى التوقيت الخطأ والمكان الخطأ، كما يقولون.
كما كان الواقع فى ليبيا، يختلف إختلافاً جذريا وأمنيّاً ولوجوستيّاً، إذ بدأ النظام الرهيب، استعداداته مبكّراً، تحسّباً لإنتفاضة ذكرى 17 فبراير المعلن عنها وقبلها بأشهر.. وقام – بفضل روحه الشيطانية مع "ذهاب شيرة قادته" – بإرتكاب جملة من الأخطاء.. كلّها سببت فى رحيله – الدمويّ" والغير متوقع من كائن كان.. بما فيها حكومات أوروبا وأمريكا.
لأننا عندما ننظر إلى أحداث ثورة الشعب الليبي فى شهر فبراير 2011، لن يستطيع أيّ مراقب منّا، تجاهل أو نكران أسباب – ومسبّبات – كان بدونها (إستحالة) أنّ نحتفل هذه الأيام بذكرى نجاح هذه الثورة الشعبية العملاقة.. بل، ولن يستطيع أيّ مراقب أو أيّ مؤرّخ – من وجهة نظرى – أنّ يضع إصبعه على "لولا" واحدة، أو مسبّب أوحد، كان له الفضل فى نجاح هذه الثورة الرائعة. فمستحيل، وألف مستحيل، أن نقول كان لهذا السبب أو ذاك، هو من تسبب فى إنجاح هذه الثورة..

فـ لولا، إرادة الله، أوّلاً.. ولولا، تجمّع عدّة مبادرات عفوية أو تصرّفات مباركة – مهما صغرت – من قبل أفراد هنا وهناك.. تزامنت بقدرة القادر مع تجمّع أكثر من (زلّةٌ هوجاء).. إرتكبها

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

أخطر، وأذكى، وأخبث وأعنف دكتاتور، عرفه التاريخ: السفّاح معمّر القذّافى!

سأجرد هنا –مما أعرفه– من لولاتٍ أعتقد، لولاها لما انتقلت إنتفاضة 17 فبراير، من مجرّد احتجاج وتذمّر شعبي ضدّ نظام ظالم، تطالب فيه بالإصلاح والعدل.. إلى ثورة شعبية مسلّحة.. لم يرى العالم لها مثيلاً منذ الثورتين الأمريكية والفرنسية، وربم

لولا اعتقال المحامى فتحى تربل، يوم 15 فبراير تحسّباً لمظاهرات 17 فبراير المتوقعة من قبل النظام والمعلنة لإحياءاً لذكرى فبراير 2006 الدامية فى بنغازى.. لما قام السيد فؤاد بن عمران – وهو كهل فى السبعينات من العمر - بقيادة إعتصام لعدد متواضع من أهالى ضحايا سجن بوسليم عام 1996، أمام مديرية الأمن ببنغازى فى عصر ذلك اليوم.. ولما إنضمّ إليه بعفوية وبوطنية، العشرات، بل المئات من شباب بنغازى، مع حلو

ولولا، ذلك التجمّع المقلق أمام مديرية الأمن، لما أفرج السفّاح عبدالله السنوسي عن المحامى فتحى تربل

ولولا، ذلك الإفراج – الغير متوقّع – لما اصطحبت تلك الجموع المحامى الشاب وهي تهتف: نوظى نوظى يا بنغازى.. جاكى يوم فيه اتراجى! وبذا كانت هتافات تلك الليلة.. بداية التحدّى وشرارة الثورة الأولي لإسقاط النظام.

ولولا تلك البداية التى لم تكن فى الحسبان، لسحق النظام، بقبعاته الصفراء، وقواته الخاصة التى بدأت فى الوصول تباعاً إلى قاعدة بنغازى الجوية، مظاهرات يوم 17 فبراير حسب المخطط.

ولولا انتشار أخبار تلك الليلة فى أنحاء ليبيا بفضل "الفيس بوك"، لما انطلق الأهالى فى البيضاء وشحات، بهجومهم على معسكرات ومعاقل النظام يوم 16 وسقوط أوّل شهداء للثورة.

ولولا، أخبار البيضاء يوم 16، لما انتشرت شرارة الثورة، كالنار فى الهشيم، فى درنة وطبرق والزنتان والمرج، وتحرّرها تباعاً.

ولولا وصول أخبار سقوط مئات الشهداء من شباب بنغازى وثورة مدن الجبل الأشمّ، لما اندلعت الثورة صبيحة يوم 17 فى اجدابيا والزاوية والبريقة وغيرها.

مجلة
المقتطف

المقالات

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

ولولا إتصال الكاتب إدريس المسمارى الشجاع بالجزيرة، لما لقيّت هذه الثورة فى ساعاتها الأولى، إهتمام الفضائيات العالمية.

ولولا جهاد الشهيد محمد مصطفى نبّوس الأليكترونى، وبثّه المباشر لكافة فضائيات العالم، لما كان لملحمة ثورة ليبيا الحرّة، أنّ يتابعها أحد على الهواء واليو تيوب مباشرة.

ولولا العملية الفدائية – الفردية – التى قام بها الشهيد المهدى زيو.. لما هرب المجرم عبدالله السنوسى من بنغازى فى نفس الساعة، بعد أنّ بلّغ سيف القذافى: بأنّهم بدؤا فى إستعمال السيّارات المفخخة.

ولولا السلاح، الذى أحضره ثوّار الجبل الأخضر لأشقائهم فى بنغازى، لما قضوا على كتيبة "الفضيل" الدموية.. والذى تزامن بقدرة القادر مع وصول قوات كتيبة الصاعقة المتواضعة وانحيازها للشعب.

ولولا أخبار سقوط المئات فى بنغازى، لما انتفضت طرابلس ومصراته وازوراه: " وبقية جبل انفوسه البطل: بالروح بالدم نفديك يا بنغازى".. مع استمرار كلّ من الزاوية والزنتان فى مقاومتهم الباسلة ضد قوات وأجهزة النظام القمعية.

ولولا لم تقف النساء (الأمهات والزوجات والأخوات والبنات) جنباً إلى جانب الرجال وأحياناً أمامهم.. لما قرّر رجال ليبيا: أنّ لا رجوع فى هذه الثورة.. فإمّا النصر وإمّا الفناء.

ولولا الإنشقاقات الشجاعة والمبكّرة لبعض وزراء وسفراء النظام، لما تواصلت تغطية أخبار الثورة، من قبل الفضائيات من عواصم العالم.

ولولا أنّ هدّد سيف القذافى الشعب بإصابعه – المبتورة الآن – لظلّ سيف خياراً بديلاً، ترتضيه أوروبا وأمريكا خلفاً لوالده الأهوج، الذى لا يثقون به رغم إنبطاحه.

ولولا سقوط قناع سيف ذلك المساء، لأستمرت قناعة الكثير من نُخب وتيّارات الليبيين، بأنه رجل إصلاح ويمكن التفاهم معه.

ولولا الموقف الشجاع – والغير متوقّع - لمجلس التعاون الخليجى المحافظ، وإنحيازه لصفّ الشعب الليبي، لما أخذت القضية الليبية إهتماماً دولياً بتلك السرعة.

ولولا شتيمة سيف –التى أتت فى وقتها– لكلّ العرب وللجامعة العربية، لتمكّنت بعض الأنظمة الديكتاتورية الأخرى والحليفة للقذافى من وأد قرار الجامعة الذي أصر أوباما الحصول عليه قبل فرض أي حظر جوّى.

ولولا معرفة الدكتور على زيدان بالفيلسوف برنار ليفى وعلاقة الأخير الوطيدة بساركوزى.. ولولا وجود سوزان رايس بالأمم المتحدة وعلاقتها الوطيدة بأوباما.. لما تحفّز هاذان الرئيسان بهذا الحماس المبكّر لنصرة ثورة الشعب الليبي.

ولولا تأجيل إعلان السيد عبدالرحمن شلقم إنشقاقه، حتى يبقى سفيراً للقذافى فى جلسة مجلس الأمن التاريخية تلك، ويقول ما قاله هذا الرجل الشجاع، للحصول على قرارات مصيرية حاسمة وبتلك السرعة.

ولولا، لباقة وحنكة الدكتور محمود جبريل وحضوره، كرجل دولة عالى المستوى ممثّلاً للمتمردين في ليبيا، لما استعجل المجتمع الدولى بتأييده المطلق للثورة.

ولولا كاريزمة وقوة شخصية الشهيد اللواء عبدالفتاح يونس، كقائد عسكري محترف، لترددت أمريكا والغرب عن تأييد تمرّد مسلّح، يقول القذّافى عنه، بأنّ من يقودهم هم من أعوان بن لادن بتنظيم القاعدة.

ولولا طيابة المستشار مصطفى عبدالجليل، لما أجمع الشعب على رئاسته للمجلس.

ولولا مجزرة عبدالله السنوسى وكتائب القذافى لأكثر من 1500 متظاهر فى طرابلس العاصمة، فى ليلة 19 فبراير، لهرب القذافى لفنزويلا فى تلك الليلة.

ولولا خيانة المهدى العربى لأهله فى الزاوية، لما استمرّت مقاومة أهل الزاوية بإستماتة حقيقية سببت فى تأجيل القضاء على انتفاضة مصراته والزنتان فى بداياتها.

ولولا أهل شرق البلاد وثوارهم بدعمهم عبر زوارق صيد لأهلهم فى مصراته، لما طال صمودها التاريخي، خصوصاً بعد سقوط الزاوية، وتراجع زحف ثوّار الشرق حتّى اجدابيا لتصمد كبوابة الشرق الحصينة.

ولولا إنضمام قرى ومدن جبل نفوسه الشجعان،عرباً وأمازيغ تباعاً، لما استطاعت الزنتان وحدها الصمود أمام هجمات الكتائب الوحشية.

ولولا فرسان بنغازى فى القوارشة والرجبة والفويهات والطابالينو.. وفراسة قلّة من نسور السلاح الجوي بما يملكون من طائرات عتيقة من عرقلته لساعات.. لتمكّن جيش القذافى الجرّار بقيادة المعتصم وجبران، من مسح بنغازى من الوجود، قبل أن تأتى نجدة فرنسا وأمريكا مساء ذلك اليوم.

ولولا استماتة وصمود مصراته ولعدّة أشهر، فى مواجهات مستحيلة مع جحافل القذافى.. لتقسّمت ليبيا إلى شطرين، ولرضا العالم والغرب بهذا التقسيم.

ولولا تغطيات الجزيرة والعربية المستمرّة، لما رأي وتابع العالم ما يجرى فى ليبيا، وخصوصاً أن للعالم ذاكرة قصيرة ومزدحمة عادة بأحداث عالمية أخرى متلاحقة.

ولولا استمرار بقاء حدودنا مفتوحة من ناحية مصر، لما تدفّقت العشرات من وسائل الإعلام الغربية تتقدّمها الـ سى إن إن، والتى وضعت المسألة الليبية – ليليّاً – على طاولة عشاء أسر المجتمعات الغربية من أقصاها لأقصاها.

ولولا مداخلات بعض الليبيون الأحرار من خلال الفضائيات العالمية تلك الفترة، لتحطمّت روح المقاومة لدى أهالى المدن المحاصرة وخصوصاً المدن التى تحت أسر كتائب القذافى القمعية.

ولولا تحليلات العميد صفّوت الزيات العسكرية واليومية تلك على قناة الجزيرة، لما جعلت – لربما! – من كلّ رجل أو إمرأة، صبيّا أم عجوزاً كان، خبيراً وقائداً عسكرياً واثقاً بأنّه سينتصر حتماً فى نهاية تلك المعركة المستحيلة.

ولولا إنشقاق الضابط اشكال القذافى، قائد قوات القذافى للدفاع عن العاصمة، وتعاونه مسبقاً مع المجلس الوطنى، لتحرّرت طرابلس فوق بحيرات وأنهار من الدماء.. وما نتيجة تحرير سرت، غير نموذج مصغّر، والعياذ بالله.

وأخيراً لولا "الناتو".. ولولا وقوف شعبيّ تونس ومصر معنا، ونجدة دولٍ شقيقة وصديقة عديدة، لما تحقق لنا هذا النصر، رغم سقوط عشرات وعشرات الألوف من خيرة شبابنا، شهداءاً وجرحى، من أجل التخلّص من هذا النظام الدموي الشرس، والذى ترك جراحاً لا تنسى فى نفوس الملايين من أطفالنا ونسائنا وشيوخنا.. وتسبّب فى دمار حياة ونزوح عشرات ألوف العائلات الليبية.

وختاماً، وهومسك الختام، لولا رعاية المولى عزّ وعلا شأنه.. ولولا بطولة عشرات الألوف من شبابنا الثوار والذين إلى هذه اللحظة، لا يزالون فى خنادقهم، يحمون عرضنا وديارنا.

بركات كثيرة ولولات، وبكلّ تأكيد.. قد نسيت العشرات من تلك اللولات والتى لا علم لى بها.. وربما قد أكون قصّرت فى ذكر دور المرأة: الإبنة والأخت والأم والزوجة.. ولما قدّمنه، من جهاد حقيقى يضاهى ومكمّل لجهاد الشباب والرجال المسلّح فى الجبهات، من أجل نجاح هذه الثورة.. وكذلك أعرف أننى قد قصّرت فى دور الكثير من فئات المجتمع، بداية من دور التجار وجال الأعمال البطولى وغير الإنتهازى، والذى رأيته فى بنغازى ودعمهم للثورة عندما كانت أمراً مشكوكاً فى نجاحه، إن لم يكن مستحيلا.. ومع ذلك ضحوا بكلّ ما لديهم من غالى ورخيص لدعمها.. ولا أنسى دور مؤسسات الكهرباء والمياه والهاتف ومهمّاتهم البطولية.. والتى كانت جهاداً بحق لن ينكره غير جاحد. وكذلك أدوار منتسبو شركات النفط وتوزيع النفط فى الصحارى وفى أعالى البحار فى تلك الظروف القاسية.

إنّ ما وددت قوله فى ذكرى هذه الثورة.. أنّها كانت ثورة هذا الشعب الليبي بكلّ أطيافه، ولا يتقبّل أحد جميلها على أحد..ثورة باركها ورعاها الله منذ انطلاقتها لحكمة وعدلاً من عنده.. لأنها ثورة كانت ضدّ الظلم وتعطشّاً للحرية.. انتظرها شعبنا المحروم والمظلوم على بكرة أبيه، عقوداً من الكبت والتخويف والإذلال.

فثورة فبراير، من الفاء للراء: هي ثورة كلّ هذا الشعب.. وعودة كرامة كلّ هذا الشعب، وهو نفس الشعب، الذى قلت عنه فى أوّل مقالة لي فى بنغازى، عندما وصلتها بعد شهر وقليل من قيام الثورة: بأن شعب ليبيا ليس شعب المليون شهيد فقط، فى حربه ضد الفاشيست.. ولا هو شعب المليون حافظ للقرأن فقط.. بل هو أيضاً، شعب المليون عمرالمختار.

فحذارى، حذارى يا أمراء الحرب.. ويا أمراء التسلّط والتسلّق.. ويا أمراء النظريات والتيّارات المستوردة.. ويا أمراء المال الحرام الوفير والفضائيات.. أن تستهينوا بشعب كلّ صبي وصبيّة فيه، وكلّ شابٍ وشابة، وكلّ إمرأةٌ أو رجل، هو عمر مختار آخر لن يسمح لكم.. بل ولن يتركّكم تسرقون منه وطنه، مرّة أخرى.

الحرية والعدل والرخاء لشعبنا البطل.. والجنّة والخلود لشهدائنا الأبرار.. اللهم آمين.

فى الذكرى الأولى لثورة 17 فبراير المجيدة

سنة أولى ثورة

علي افتيته

الدرس الأول: وحدة الصف

استطاع المعتصمون في حركة تصحيح المسار أن ينال بعض المكاسب في الاتجاه السليم لبرنامج تصحيح المسار، كثيرون من أعضاء المجلس الانتقالي أدلوا بتصريحاتهم عبر القنوات المختلفة وقالوا بأن حركة تصحيح المسار هي نتاج للمخاض الديمقراطي وان المطالب شرعية وان المجلس يباركها وسيسعى لتحقيق ما يمكن تحقيق منها. من خلال قراءة الأحداث التي واكبت اعتصام ميادين تصحيح المسار بعض من الفوضى المبرمجة وهو ما يسعى اليه بقايا النظام المقبور من بث الفتنة في صفوف الثوار وزرع الأحقاد، فمثلا الهجوم المسلح على مقرات المجلس الانتقالي والحكومة والمجالس المحلية في ليبيا بعض منها مدبر تدبيرا دقيقا لتحقيق أغراض المفسدون في الأرض بقايا النظام المقبور. إرغام بعض من رجالات المجلس الانتقالي لتقديم استقالاتهم ومحاربة البعض منهم بما في ذلك رئيس المجلس وأعضاء الحكومة الانتقالية في هذا الوقت جزء من هذا المخطط، بث الرعب في المدن والقرى الليبية جزء من هذا المخطط، بث الشائعات تارة تسمع بأن المدينة الفلانية اندلعت بها المظاهرات ورفعت الأعلام الخضراء ويهتفون بروح المقبور وقد مات عشرة من مقاتلي الثوار وجرح عشرون، وتسمع ايضا مجموعة من بقايا المقبور قاموا بتهريب كذا مليون دينار عن طريق احدى المنافذ، وتسمع ايضا ان بعض من سرايا الثوار تستعد لشن هجوم على المنطقة الفلانية لدحر وقتل بقايا كتائب المقبور، ايضا بعض القنوات التلفزيونية تبث أخبار عن ان طيارو السلاح الجوي للناتو كانوا يحملون الجنسية الاسرائيلية، كذلك بعض مواقع التواصل الاجتماعي تبث صور لسيف المقبور وكأنه ضيف لدى احد الثوار ومأدبة الغذاء بها ما لذ وطاب. تصنيف الليبيون الى إسلاميين وعلمانيين وكأن العلمانية تعني الإلحاد، تقسيم الإسلاميين الى صوفيين ومقاتلة وغيرها من التصنيفات الأيدلوجية ونسوا بأن الليبيين هم ناس وسط في كل شيء.

ان الشعب الليبي قد وحد صفوفه لمدة ثمانية أشهر لغرض شيء واحد وهو الإطاحة بالنظام ورؤوسه، واستعانوا بكل من وفر لهم الدعم ولم يسألوا عن جنسية الطيارين اللذين يقودون طائرات حلف الناتو ولا يعنيهم أصلا الأمر باعتبار ان مهمة الناتو محددة ومدعومة من جميع الأمم وانتهت بانتهاء الطاغية. التف الليبيون حول المجلس الانتقالي والحكومة المؤقتة والمجالس المحلية وغيرها من مؤسسات المجتمع المدني لأن الهدف كان واضحا وجليا وتوحد عليه الشعب كله.

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

الآن وفي هذه المرحلة الخطرة كل هذه الأمور تجعلنا ملزمين على الدفع بكل قوة وبكل الوسائل على استعادة تلك الوحدة واللحمة الوطنية ومحاربة الشائعات واحترام الدولة مع احتفاظ الشعب الليبي بحقه في التعبير عن نفسه بالطرق السلمية والموضوعية عن أي تجاوزات قد تحدث من أي مسئول حتى يتم انعقاد المجلس الوطني وينتهي المجلس الانتقالي من مهمته. وعلى المجلس الانتقالي ان يتعامل بكل شفافية مع مطالب ميادين تصحيح المسار.

من أين نبدأ

انتصرت الثورة التي دفع ثمنها أرواح زكية لشعب عانى من التنكيل والتعذيب والغربة والتشريد. أرواح زهقت و فقد من فقد وجرح من جرح وترملت الأمهات ولكن النصر كان حليف الثورة. ضمدت الثورة جراحها ولملمت نفسها وبدأت في إعادة تكوين مؤسساتها وشكلت حكومتها الانتقالية لتسيير ودفع عجلة الحياة الكريمة إلى الأمام.

كيف نستمر ومن أين نبدأ، تساؤل يبحث عن إجابات لكي تستمر الحياة ونطوي صفحة الماضي البغيض ونتعايش مع الواقع.

تحديد أولويات المرحلة الحالية، مثل بناء الجيش الوطني الموحد، ترتيب بيت الحكم المحلي وقطاعات الأمن المختلفة مطلب أساسي لا جدال فيه وملزم لجميع فئات الشعب وينفذ بكل الوسائل والطرق.

تفعيل وتنشيط وتشغيل مقومات الاقتصاد الوطني ليوفر الدعم المادي لتحقيق الهدف الأول.

الشهداء، والجرحى، والمفقودين.

قوافل الثوار الذين على جبهات القتال والجبهات الغير قتالية لولاهم لما انتصرت الثورة.

المؤتمر الوطني ولم الشمل والمصالحة الوطنية خطوة على الطريق الصحيح.

اعادة ترتيب البيت الداخلي للمؤسسات القائمة لا يعني إلغاؤها ولكن يعني استمرارها مع بعض التعديلات الضرورية منها.مخططات ورسومات وتصاميم لمشاريع عديدة درستها الدولة الليبية وتعاقدت على تنفيذ جزء منها وجزء ينتظر، وجزء لن ينفذ وجزء تم إلغاوه.

مجلة المقتطف

المقالات

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

بناء ليبيا الحديثة لا يعني التعاقد على عقود جديدة ولكن الاستفادة من ما هو قائم، ما يحتاج إلى تقييم تتم مراجعته وما هو قابل للتنفيذ يتم الاستمرار فيه، نحن لا نريد إعادة ابتكار العجلة ولكن إذا أمكن دفعها إلى الأمام فليكن ذلك.

التعاون الدولي لا يعني الانصياع إلى مطالب الدول الصديقة والشقيقة والمتعاونة ومن قدم الدعم ومن ساند الثورة ولكن يعني احترام المواثيق واحترام التعاقد القائم واحترام الذات قبل كل شيء مع الاعتراف بالجميل وتقديم الشكر والاحترام والثناء لكل من ساهم في تحقيق حلم الليبيين.

مرحلة انتقالية كثيرة المهام، محدودة الإمكانيات، محفوفة بالمخاطر يتم تجاوزها بعزيمة الثوار وتضحيات المخلصين ونكران الذات.

انتحار البربر، الهويّات القاتلة

صلاح انقاب

كان تنتاليوس ملك سيبيلوس قد أغضب الآلهة بتقديمه ابنه قرباناً على مأدبة عشاء، فعوقب على فعلته من الإله زيوس بأن يعيش أبد الدهر محبطاً، تغمره المياه حتّى رقبته، و كان كلّما أحنى رأسه ليشرب، كانت المياه تجفّ، و كانت تتدلّى من حوله الفاكهة، لكن كلّما كان يمدّ يده ليقطفها، كانت الرياح تعصف بالأغصان و تحملها بعيداً عن يده، كان بوسع الآلهة أن تزيله عن وجه الأرض، لكنّها فضّلت له أن يشقى أكثر بجعل ثرواتٍ لم تسمع بها أذن و لم ترها عينٍ أمام ناظريه، لا يستطيع إليها سبيلاً / أسطورة إغريقيّة.

لقد حقّق المجتمع الليبي فشلاً ذريعاً الى حدٍّ كبيرٍ في تتبّع بصمات هويّته بسبب نقاطٍ مركزيّة في نمط التفكير المسيطر على لا وعي الليبيّين في العموم، هذا المجتمع الذي لا يزال يستخدم اللاوعي كمحرّكٍ لشعوره و أفعاله في ذات الوقت، بحيث أصبح التخلّص من حالة الضياع التي يعاني منها حاله حال المجتمعات الإسلاميّة عموماً في واقع الأمر و العرب - فونيّة خصوصاً، أمراً منوطاً بالصدفة لا غير، النقاط ممتدّة عبر قطبي الساديّة / دور السيّد، الماشوسيّة / دور العبد، و التي تبرز عبر مظاهر القطيعة التاريخيّة، الاستلاب التاريخي و العنصريّة القوميّة، يمكن رؤيتها عبر عدسةٍ مقرّبةٍ للتبصّر خلال مكوّنات: 1: الاستعباد / السيطرة، 2: الرّهاب / السلطويّة، 3: الجهل / سلطة الفقيه، 4: اللا فردانيّة / العقل الجمعي، 5: التبعيّة / العجز، 6: التشاؤم / اللاهوت.

في البداية يجب علينا أن نضع تحديداً واضحاً و جليّاً لمن نعني بـ [البربر]، و ماذا يعني [الانتحار] أيضاً ! ؟، فالبربر هم مستوطنو شمال إفريقيا و هذه حقيقةٌ طارئةٌ بالنّسبة للكثيرين، إذ أنّ الواقع التاريخي يقول بعدم وجود حالة انقراض أو مرحلة فراغ بشري مرّت بها شمال إفريقيا عبر تاريخها، باختصار البربر هم سكّان ليبيا سواء كانوا يتكلّمون العربيّة، يتكلّمون الأمازيغيّة أو كلاهما، بل وحتّى ؤلائك الذين قرّروا عدم الكلام، و البربر هنا ليسوا مجموعةً عرقيّةً متميّزةً عن غيرها، لأن النظر للأمر عبر هذا المنظور يبقى فكرةً تخاطب النّاس مستخدنةً لسان هتلر و ذراع الصليب المعكوف، البربر هم امتداد سلالة قبائل الليبيو و التمحو و المشواش، البربر في ليبيا هم الليبيّون، من ينتابهم نفس المشاعر إزاء ريح القبلي و عين الحسود، من يؤمنون بالجان و يكرهون إسرائيل، من يصلّون صلاة الاستسقاء رغم أنف ظاهرة الاحتباس الحراري، و يسافرون للخارج

بغية العلاج فقط لا غير، مجتمعٌ مرنٌ يمتدّ عبر المكان الثابت خلال الزمان المتغيّر في فئات عبر مفهومٍ يحوي مفارقةً تاريخيّةً تعلن عدم الارتياح لكل المضامين الأيديولوجيّة السابقة، القوميّة تحديداً: 1: الليبيّون البربر المستقرّون من تتغيّر هويّتهم و لغتهم بتغيّر المناخ السياسي و الديني بالدرجة الأولى، 2: الليبيّون البربر الوافدون [الهجرات الاختياريّة للجماعات و الأفراد / الوافدون].

ما نعنيه بالانتحار هنا هو النهاية الطوعيّة التي يختارها الإنسان لنفسه، أمّا انتحار البربر فهو القطيعة التاريخيّة بشكلٍ مقصودٍ و مفتعلٍ و الإرث التاريخي للوطن بجعله مقتصراً على فئةٍ تمثل الأقليّة الغير واقعيّة، فتاريخ ليبيا هو تاريخ الليبيّين جميعاً، وْغوستين و هانيبال، سيبتيموس و ماسينيسّا، بوخوس و يوكَرتان، إسبوتي و تيهيا ليسوا مجرّد شخصيّاتٍ تنتهي علاقتها بالليبيين بمجرد دخول هؤلاء الإسلام، تاريخ روما في شمال إفريقيا هو تاريخ الليبيّين جميعاً، و النقوش في جبال تاسيلي و أكاكوس بأحرف التيفيناغ هي نقوشٌ نقشها الليبيّون في الأمس من هم آباء الليبيّين جميعاً اليوم، فسيفساء مصراتة رسمها اللّيبيّون قبل غيرهم، و سكّان كهوف هويلف تايح في بنغازي هم أصل سلالة الليبيّين منذ عصور ما قبل التاريخ، ولا يعني انسلاخ بعض هؤلاء عن لغةٍ أو ثقافةٍ بعينها انسلاخهم و عدم وجود علاقةٍ لهم بتاريخ من لا زالوا ينطقون بذات اللغة، لا يمكن أن نعتقد أن شيشنق أمازيغيّ يخص الناطقين بالأمازيغيّة وحدهم، لأنه وفق نفس القراءة الاجتثاثيّة موظّفٌ مصريٌّ يخص المصريّين وحدهم لا أحد سواهم، حاله حال سيبتيموس الموظّف الروماني، طارق بن زياد ليس شخصيّةً بربريّة ذات أصول قوطيّة، أو موظّفٌ مغلوبٌ على أمره في الجيش الأموي بقدر كونه جزءٌ من سلسلة النسب التي يندرج تحتها كل الليبيّين،إذ أن الإخفاق المتواصل في حل التناقضات التي يعاني منها الوعي الليبي بليبيّته أمرٌ لا يمكننا الوقوف أمامه فاغري الأفواه، فالانتحار هنا هو تحول المجتمع بآسره الى آخر، عبر فقدان صورة الأنا على الدوام، يختلف فيه المجتمع على الدوام عن أهدافه التاريخيّة و يصبح الفرد فيه مجرّد فرداً في القطيع، لا تهمّه الجماعة منذ انقطعت علاقته التاريخيّة بهذه الجماعة، لا يمكن للمواطن أن يصبح مواطناً لبلدٍ أو جماعةٍ نشأت بمحض الصدفة، إذ أنّه في هذه الحالة سيظل دوماً غير حاسٍ بنفسه، غير واثقٍ بمجتمعه، ليصبح واجب هذا المواطن أن يتلاشى، و يصبح دور هذا المجتمع الانتحار، سمات هذا الانتحار يمكن قراءتها عبر دراسة واقع الحالات الاجتماعيّة المعياريّة الثلاثة، و التي يقاس عبرها مستوى النمو المدني و السلوك الأخلاقي للأمّة: 1: الأقليّات، 2: المرأة، 3: الفقراء.

اللغة هي الصورة الأوضح للهويّة لكنّها لاتغني شيئاً في واقع الأمر إلا في حال اعتقدنا أن سكان غرب إفريقيا فرنسيّين و سكّان وسطها إنجليز رغم أنف بشرتهم السوداء، و هذه فكرةٌ عنصريّةٌ تدفع لأفكار عنصريّةٍ أخرى، المسألة اليوم أسوأ مما كانت عليه قبل سنوات، فالشخصيّة الليبيّة المستقلّة و المميّزة عن كل من يحيطها أصبحت تتلاشى، فالعنصريّة العرقيّة و القوميّة المؤذية آخذةٌ

في النمو المضطّرد، و التقسيم النازي المنشأ للّيبيّين بين عرب و أمازيغ في تصوّر خارجٌ عن المنطق و الصحّة، خارج التاريخ، بل خارج الإنسان نفسه، بالإضافة الى عوامل نفسيّة في العقليّة البربريّة المضطّربة دور الضحيّة، ممّا أدى الى تسارع وتيرة تعريب الناطقين بالأمازيغيّة في مناطق وجودهم الديموغرافي منذ أواخر القرن المنصرم نفوسة الجبل، زوارة الساحل و غدامس الصحراء، خصوصاً بعد انهيار سد الممانعة المذهبي الإباضي أمام سيل الموجات الدينيّة المؤدلجة و الوافدة ، إذ أن هذه البؤر الآخذة في الانكماش، هي فقط من تعتمد في وجودها على حقيقة العلاقة بين الليبيّين و تاريخ شمال إفريقيا، و كلّما غابت المركزيّة في المجتمع، مركزيّة السلطة، مركزيّة اللاهوت، مركزيّة القبيلة، تضخّم الإحساس بالحاجة الى الهويّة، و كلّما ازداد هذا الإحساس في التضخّم ازداد تبعاً لذلك أهميّة الهويّة الفردانيّة المستقلّة، عبر مصادرها المتعدّدة، العرق، الجنس، الدين، اللغة، الوضع الاجتماعي، الطبقة و هلمّ جراً، و لا بد من قاعدةٍ لهذا الشعور، و هي المرجعيّة التاريخيّة، فما تقوم به وسائل الإعلام المشرقيّة باجتثاث الأصوليّة المغاربيّة من جذورها، و زرع علامات ثقافيّة لا تمت بصلّةٍ لجغرافيا الوطن الليبي، أمرٌ مشينٌ حقيقةً، ففي حال كان تاريخ الليبيين قد بدأ بعد الإسلام، بمعنى العروبة الغير فصيحة، كيف يحقّ للشرق أن يرسل علاماته الثقافية و دلالاته الهويّاتيّة ما قبل الإسلام لهذا المغرب ! ؟، فمن قصص عنترة العبسي، قيس و ليلى و حاتم الطائي وصولاً الى حرب البسوس و داحس و الغبراء و ما الى ذلك من شخصيّات ترسم الكاريزما العربيّة في جزيرة العرب قبل الإسلام، هل يمكن القول في حال قبول سكّان حاضرة شمال إفريقيا لهذه الدلالات كجزءٍ من تكويناتهم التاريخيّة بخلاف حقيقة انتحار البربر ؟، هنا أصبحت الهوية في ليبيا شخصيّة لا تمت بصلةٍ للجماعة، و هذا هو عامل الخطر الأول في حق الوحدة الوطنيّة، فمن الوهابيّة الرجعيّة و هي هويّة سوداويّة راديكاليّة فصيحة، الى الهوية الطائفية الجنسية المتأثرة بثقافة البدو بعد غزو المدينة، بل و حتى الهويّة الجهويّة محليّة كانت أو كوزموبوليتانية [عالميّة]، هيمنت الهوية المنحلّة بعد انهيار الفكر القومي عبر نقطتين مركزيّتين، أولاً تراجع أشكال الهويّات المحليّة، فغابت خصوصيّة البادية في معمعة المدنيّة الفوضويّة، و غابت أشكال الهويّات اللغويّة المختلفة كالأمازيغيّة داخل موجات التعريب الغير مؤهل، و ثانياً تزايد الإحساس بنمو الهويّة القوميّة بديلاً عن الهوية الوطنيّة لدى هؤلاء، رغم عدم وجود أجندة قوميّة معلنة، لكن توجد مواقف و معتقدات مختلفة، و توجد ليبيا واحدة، مجتمعٌ لا يمكن أن يكون مجتمعاً ديناميكيّاً إلا عبر ذاته، الإثنية الزائفة وهمٌ تنفيه حقائق تلغي فكرة الانتحار: الحقيقة الأولى: الهويّة الليبيّة مبنيّةٌ على أساسٍ من التاريخ و الجغرافيا المشتركين، عبر عدد من الهويّات القوميّة المختلفة، و الحقيقة الثانية أن الهويّة الليبيّة هويّةٌ واسعةٌ تكفي بالاحتفاء لكل العرقيّات، اللغات، القوميّات و المذاهب كمنظومةٍ أخلاقيّةٍ تنظمّها وقائع التاريخ الفريد لليبيا.

أهم الحلول الممكنة من أجل تجنّب حدوث الانتحار [انتحار البربر] هي فكرة الإيمان بالعلم، فالليبي يستخدم هاتفه المحمول يتحدّث و شخصٍ يبعد عنه آلاف الكيلومترات دون معونة من

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

الجان من يؤمن بوجودهم حوله، مسرعاً في عبور الطريق يتجنّب أن تصدمه سيارةٌ مسرعة، من تحت أحد كباري المشاة، يملك ضميراً غير عقلاني يعيش حالةً من الجمود، فهو ممنوع من النمو، حائر بين طريقين أحدهما يوصل الى الشيخ، من يطرد العفاريت بالطلاسم، و آخر يوصل الى حيث عيادة الطبيب النفسي، بالإضافة الى هذا الحل الممكن بعد الاعتراف بالهويّة كمكوّن تاريخيٍّ جغرافي و إلغاء التمسّك الشديد بقشرة اللغة التي ليست سوى صورةً للهويّة لا غير، نرى ستّة أفكار أخرى مهمّة: 1: تحديد مساحة السلطة، 2: طرد عامل الشك في الآخر، 3: فصل المدينة عن البادية، 4: نبذ التقليد و الاستيراد، 5: نمو الأنوثة قبالة الذكورة، 6: مبدأ الفرد فوق الجماعة.

المجتمع التقليدي يعطي الأهميّة الأقل للفرد، الحريّة الأقل: حريّة التفكير، الإبداع، المساهمة، الاختراع و التطوير، و يعطي أهميّة مبالغةً فيها في رأس المال الاجتماعي مانعاً الفردانيّة: المبدأ الرابع من نقاط اللا وعي / اللا فردانيّة ، فالتضخّم الحاصل في القيود الاجتماعيّة يُنتجُ عجزاً للرجل، و قهراً للمرأة، وفي واقع الأمر فإن هذه المسألة تبقى نصف مشكلةً و نصف حلٍ في ذات الوقت، فإلغاء القيد الاجتماعي يدفع الفرد خطوتين الى الأمام و يسحبه خطوة الى الخلف، فالمجتمع الليبي هو مجتمع نوستالجيا مثالي، بمعنى الحنين المرير الى الماضي، حاله حال كل المجتمعات المنطويّة تحت سيطرة الطوائف الدينية السلطويّة [الإسلام الفقهي، اليهوديّة التوراتيّة و المسيحيّة الكنسيّة] عبر نسب متفاوتة، فانتقال المجتمع الليبي السريع و الحاصل اليوم من الإقطاع الى الرأسماليّة يوصل الى نتيجة تكريس عدم المساواة و اليأس، غياب صورة الجماعة التي تكوّنت بدون وعيٍّ فرديٍّ بالذات الفرديّة، كي تغيب الدولة و تصبح الأخلاق هي المسيطرة على النشاط الاجتماعي للمجتمع لا القانون، حينها يصبح الانتحار أمراً لا بد منه، و التي تعني انتشار الموت دون حاجةٍ الى جنازة، ينهار مفهوم النفس، الشخصيّة، الالتزام بالتميّز و القدرة على الإبداع عبر سيطرة العاطفة على طريقة تفكير اللا وعي، إن الانتحار دليلٌ على تآكل المجتمع.

التغلب على هذا التآكل لا يتم إلا عبر خطاب الأنسنة، عبر فهمٍ عميقٍ لقيمة الإنسان، فعلى امتداد العصور لم تكن هنالك قطيعةٌ البتّة بين السلطة السياسيّة و السلطة الدينيّة الكهنوت في بناء المجتمعات الإنسانيّة، الدول العَلمانيّة في الغرب في واقع الأمر هي دولٌ دينيّةٌ، الكنيسة البروتستانتيّة هي التي تبنّت بناء و تمويل كل الجامعات في كندا منذ القرن السابع عشر أيّام الثورة السلميّة، القساوسة هم عمداء الكليّات في أوروبا و أمريكا، قسمٌ من ضرائب الدولة في بلجيكا، ألمانيا و بريطانيا و فرنسا مؤخراً تقتطع منها نسبةٌ للمؤسّسات الدينيّة المسيحيّة، اليهوديّة، البوذيّة، الكنفوشوسيّة ....، الهويّة الدينيّة للدول الغربيّة محفوظة و مّصانة كما أن للأقليّات الدينيّة حقّها في ممارسة طقوسها و مناسكها داخل إطار الدولة العّلمانيّة، العَلمانيّة ليست قطيعة و الدين كما يهوّل الفقيه، بل هي تأطيرٌ و تحديدٌ لمساحة السلطة التي يمتلكها الفقيه الذي يأصل للتعامل

الانتهازي مع الدين لتوظيفه ضد الدين في الدرجة الأولى و ضد الإنسان و الوطن تبعاً لذلك، هذا التحديد يوسّع قدرة الإنسان على التفكير و الإبداع، و الاستقلاليّة الفكريّة، الموصل الى النمو الإيجابي للمجتمع نحو مساحات الحرّية و العدالة الاجتماعية.

إن فكرة الوطن العربي فكرةٌ عنصريّةٌ محض، رغم استقرارها كجزءٍ من الوعي في دول [العربفونيك]، عبر سيلٍ من موجات الخطاب الإعلامي المتكدّس عبر إعلام الطغاة و المستبدّين، ابتداءً بعبد الناصر وصولاً الى القذّافي مروراً بصدّام حسين، إلا أن هذه الفكرة تعلن شيئاً من أمرين، إمّا أن يكون الناطقون بالعربيّة يعيشون على كوكبٍ منعزلٍ في الكون لا يعيش فيه سواهم، كي تصبح الفكرة واقعيّةً، أو أن هؤلاء يعيشون في عالمٍ من المتغيّرات، يحوي آخرين، تبنّوا لغاتٍ أخرى على امتداد الجغرافيا و التاريخ، لا تمت لهم بصلةٍ في حقيقة الأمر، و هو حال سكان غرب إفريقيا / 1: الوطن الفرنسي، شبه الجزيرة الهنديّة / 2: الوطن الانجليزي و أمريكا اللاتينيّة عدا البرازيل / 3: الوطن الإسباني، فهذه المسميّات الثلاثة عنصريّةٌ، خياليّةٌ قامت ضدّها حركات تحرّرٍ و استقلالٍ على امتداد دول العالم في تاريخه المعاصر لإعلان الدولة القوميّة المستقلّة و صاحبة القرار، بناءً عليه إمّا أن يكون الوطن العربي وهماً أو أن يكون إشكاليّةً تحتاج الى حل، لكن الفكرة الأكثر عنصريّةً هي عزل الناطقين بالأمازيغيّة في ليبيا لأنفسهم عن هذا الوطن و إرغامهم على إتباع مسلسل الانتحار .

إن الحل العملي الوحيد، و البديل المعقول بالنسبة لليبيّين هو احترام الاختلافات الثقافيّة، اللغويّة، الدينيّة لمكوّناته، و أن تترك الأفكار تنطلق حيث تشاء، لا تقيّدها سلطة فقيهٍ أو بندقيّة عسكريٍّ، النتائج تتكلّم عن نفسها، الحرّية هي حريّة الخروج عن العادة، و كسر المعتاد، التعلّم من تجارب الآخرين، بإلغاء التمييز على أساس العرق، اللغة أو الطائفة، لقد بقيت [كونسبشن بيكوتو] لعشرين عام، تجلس وسط حارة بنسلفانيا في واشنطن، على عربة حليبٍ فارغة، محاطةً باللافتات التي تدعوا الى [نزع السلاح النووي من العالم]، لا تفارق مكانها إلا ثلاث ساعات يوميّاً مخافة مخالفة قانون التشرّد الخاص بولاية واشنطن، هذه المرأة الأوروبيّة تعلن أن الإيمان بالمؤسّسات الدوليّة وهمٌ، و أن المواطن يجب أن يجعل الأمر منوطاً به، و أن المواطنة حقٌّ مبنيٌّ على الفاعليّة و الإحساس بالرغبة في المبادرة و خلق الأفكار، لقد اعتبرت هذه المرأة العالم وطناً لها، و قامت بفعل ما تستطيعه، الانتحار أمرٌ منوطٌ بصاحبه، لكن قرار الحياة أمرٌ يفسح المجال أمام الإنسان للبحث عن أسباب لهذه الحياة، أسبابٌ لا تؤذي أحداً.

مجلة

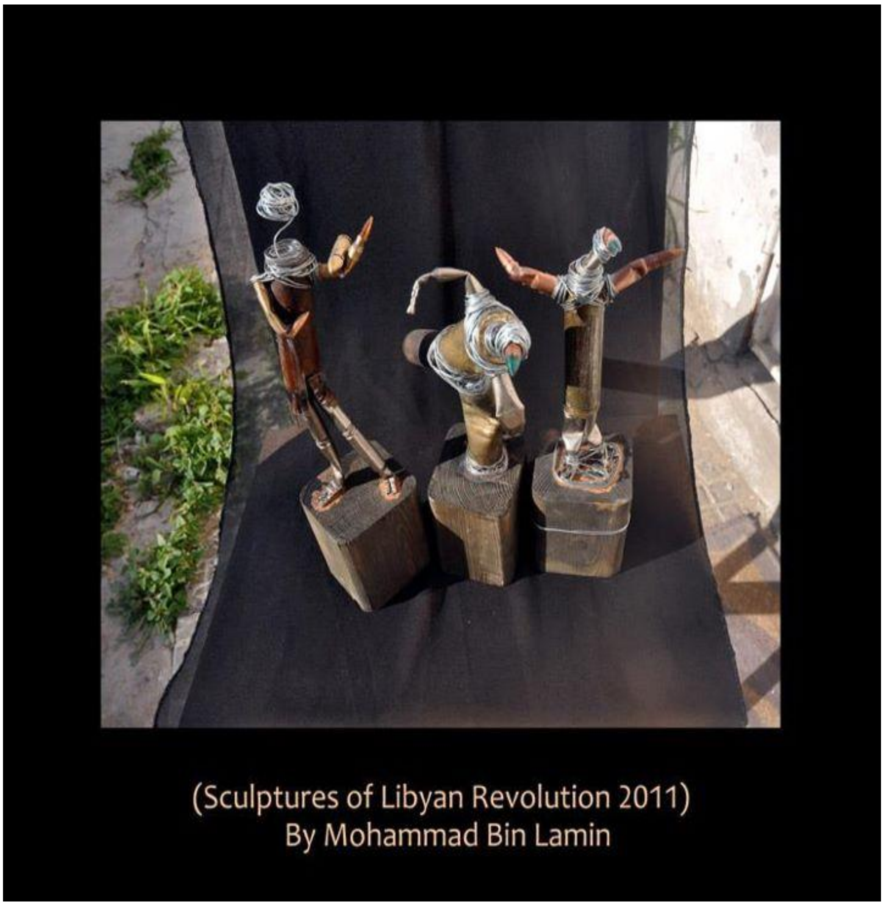
المقتطف

قراءات

السنة الـ11

العدد: 77

مارس / ربيع 2012



"عشب الليل" وقتل الأب..

المصطفى سلام–المغرب

نظرية التلقي عند ابن طباطبا في كتابه "عيار الشعر"

ابتسام محفوظ محمود أبو محفوظ –مصر

لماذا يفقد الشعر الحديث بوصلته عند كعبة القريض؟

د. نضير الخزرجي–العراق

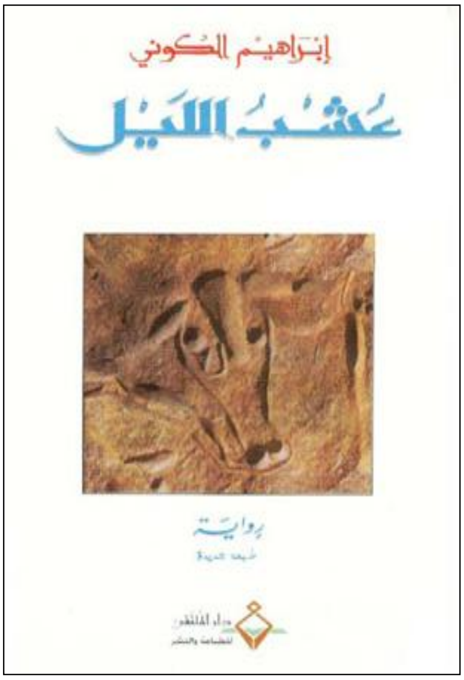
مجلة المقتطف

قراءات

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

"عشب الليل" وقتل الأب..

المصطفى سلام*–المغرب



تناول الروائي الليبي إبراهيم الكوني، في روايته: "عشب الليل"1، قضية قتل الأب، وصاغ لها عالما حكائيا، اتخذ من السياق الثقافي والميثولوجي للطوارق مرجعية.. فكيف تحقق هذا القتل في النص؟

بالعودة إلى البنية الأسطورية والفكر الميثي للطوارق في الصحراء الليبية، نجد أن الربة تانيت2 تتجسد في صورة مثلث وترمز إلى الخصوبة والتناسل والعنف، إذن فهي أنثى وأرض وسيف أو مدية، وتتموقع هذه المعبودة كدليل وسط هذه الأطراف: التناسل والخصوبة والعنف. وكان المثلث في الأصل نصف دائرة يمثل الأرض والنصف الآخر السماء، ثم تحور نصف الدائرة إلى مثلث يعبر عن اتزان الوجود. وتكشف القراءة المباشرة لنص "عشب الليل" أن السارد عرض حكاية ذات وجهين: العشب الذي اكتشفه وان تيهاي والتأثير الذي يلحقه به حيث يمنحه قوة جنسية عارمة، فيعذب النساء في المخدع، ويساعده العشب كذلك في السفر إلى واو3 الفردوس المفقود عند الطوارق. والوجه الثاني حكاية وليدة تعرضت لبطش أبيها الجنسي دون اعتراض على ذلك، لأنها خضعت لبرنامج تأهيلي، هيأها وخلق لديها استعدادا نفسيا وعاطفيا أن تحب أباها حبا جعلها قرينة له، مخالفا بذلك ناموس القبيلة. وقد أنجبت منه ابنة نتيجة الجنس المحرف، هذه الوليدة هي من ستقتص من هذا الشيخ الجاني والخارق للمقدس. لقد قتل الأب بالمدية التي ترمز إلى الربة المقدسة تانيت.

تتأسس الحكاية في النص على مكون طبيعي، يتعلق المر بالعشب، وهو يرمز بدوره إلى الصب والتناسل من خلال الطاقة التي يمنحها للشيخ، هذه الطاقة مهيجة وباعثة للرغبة الجنسية، ويقترن العشب من جهة ثانية بالعنف، حيث التمادي في ممارسة الجنس والعنف المصاحب لذلك دفع الحفيدة إلى الهرب وقصد الضريح، الذي تقطن فيه الربة أو المعبودة.

يرتبط بالمثلث في بعده الحيثي الجنس المحرم، إذ يعتقد الأب أن مصدر الخصوبة هو الأب من خلال البذار التي تأتي من صلبه، وبالتالي الاستمرار في الحياة والوجود سببه الأب وليس الأنثى. ونكاح المحرمات يتحدد في النص من خلال التناسل والخصوبة والعنف أيضا، شأنه شأن العشب ومعبودة الطوارق.

واحة واو في النص ترمز بدورها إلى الخصوبة، حيث الماء والخضرة والحياة، والاستقرار الشرط الأساسي للحضارة والمدنية، في هذه الواحة يلجأ الواويون إلى الحرث والزراعة والتناسل عبر الزواج. كما تشير إلى الجنة المفقودة التي لا يتوقف الطوارق عن البحث عنها. ويتجلى العنف المقترن بهذا النمط من الجنات في الضياع والتيه.

فيما يخص قتل الأب، الحدث المحوري في النص، تحقق من خلال رمز العنف، أحد رؤوس المثلث بواسطة المدية التي تجسد المعبودة أو الربة. لقد حاول الشيخ بمشروعه: نكاح الابنة ومضاجعة الوليدة، إحياء عقيدة الرب أمناي4 الذي كان بدوره أبا في أساطير الطوارق. الشيخ يرغب في رد المكيدة التي كادتها المعبودة ضد هذا الإله قديما. لقد قتل الأب من عن طريق رؤوس الربة تانيت: الجنس والعنف والخصوبة من خلال الرموز المحورية في هذا المثلث: المدية والأنثى والشهوة أو الشبق الجنسي.

يتخذ قتل الأب في النص بعدا أسطوريا ثانيا، يتعلق الأمر بعقدة أوديب، فكان هذا القتل إخراجا جماليا وتخيليا لهذه العقدة. وعقدة أوديب كما وردت في أدبيات التحليل النفسي: جملة منظمة من رغبات الحب والعداء التي يشعر بها الطفل تجاه والديه. وتظهر هذه العقدة في شكلها الإيجابي في قصة أوديب الملك، أي رغبة موت المنافس وهو الشخص من نفس الجنس، ورغبة جنسية في الشخص من الجنس المقابل. أما في شكلها السلبي فتأخذ منحى مقلوبا، أي حب للوالد من نفس الجنس وحقد حسود على الوالد من الجنس المقابل، وفي الواقع يتواجد هذان الشكلان بمقادير متفاوتة5. بالعودة إلى نص عشب الليل أنه يعمل على تحيين هذا المركب سرديا. فهناك الأب ثم الوليدة والأم. ورأينا كيف تمكن الشيخ من ابنة ابنته، فكان بذالك موضوع حبها، والعلاقة التي تميز الطفل بأحد الوالدين في المثلث الأوديبي هي التوتر والانجذاب، وهذا ما جسدته الابنة حيث كانت علاقتها متوترة مع الأم. كما أن الأب في هذا المثلث يتميز بمجموعة من القيم تؤكد تسلطه وجبروته، وقد مثل الروائي لذلك بأن جعل الشيخ وان تيهاي ذا جشع جنسي وجوع شبقي، حيث تتعذب النساء جراء ذلك. والشكل الذي أخرج به الروائي هذه التيمة تناسب الشكل الأنثوي في العقدة الأوديبية، أي ما يعرف بعقدة إلكترا حيث تعلقت الوليدة ثم الابنة بوالدهما جنسيا.

لقد حضرت في النص جميع مكونات الثالوث الأوديبي: الابن والأب والقانون. وكما يتحقق القتل في جميع السيناريوهات السردية لعقدة أوديب وارتكاب المحظور في الممارسة الجنسية، كان مصير الأب هو القتل من طرف الابنة، مع اختلاف واضح، حيث لم تقتل الابنة الأم لتستأثر بالأب

وتملكه. لقد قتلت الابنة الأب لأنه منافس للعبد أفار الذي كانت ترغب في أن يكون عشيقها، أي موضوع حبها. وقتلته ثانيا لأنه كان جبارا عتيا.

واضطهاد الأب في النص اضطهاد جنسي، من خلال تعذيب قريناته، بما فيهن بنته وحفيدته؛ وقد شكل هذا التعذيب رمزا للخصاء الذي يرد في المركب الأوديبي؛ إذ يشعر الابن بأن الأب يمكن أن يخصيه، جزاء على رغبته المزدوجة: أولا في قتله وإزاحته، وثانيا في امتلاك الأم والاستحواذ عليها. هكذا مارس الشيخ في النص مجموعة من الأفعال التي ترمز إلى الخصاء: قطع ألسنة العبيد وتعذيب النساء وبتر العضو التناسلي للعبد أفر وخضوع الابنة وعدم مقاومتها.

لقد اكتمل سيناريو عقدة أوديب في نص: "عشب الليل" بحضور أركان المثلث الأوديبي: الأب والطفل والأم من جهة، وتوتر العلاقة وانجذابها، والوقوع في المحظور ثم قتل الأب. إن الاعتداء على الأنثى في هذه الرواية هو اعتداء على رمزية النظام الأمومي في معتقد الطوارق، والصيغة التي تم بها قتل الأب في النص هي إخراج روائي لعقدة أوديب وتنويع سردي. وقد تميز هذا التحيين السردي بمرحلة تمهيدية؛ تمثلت في كراهية الابنة للأم واتخاذها أباها موضوعا للحب، حيث اطمأنت إليه وأمنت في حبه، ثم مرحلة القبول أو ما يسمى بالسلبية في القرار؛ وقد تمثلت في النص بقبول ممارسة الجنس وتحمل أذاه، وبالتالي الوقوع في الخطيئة، أما المرحلة الأخيرة فهي مرحلة القتل أو التخلص من الأب، والقتل تغيير للموقف السلبي.

لقد أطر الروائي فكرة قتل الأب بسياق ميثولوجي، حيث الحكاية لم تشر إلى عقدة أوديب في حد ذاتها، أي لم يكن المعطى النفسي هو المقصود، بل التنويع في تمثيل وعرض هذا المركب جماليا و تخييليا، وقد انطبع البناء السردي في النص بخلفية أسطورية تكمن في الصراع القديم بين الإله أمناي والربة تانيت، و قد تجلت هذه المسألة في انقسام شخصيات النص إلى صفين: صف الرب أمناي و صف الربة تانيت برموزهما وأيقوناتهما.

المراجع:

1 – إبراهيم الكوني: عشب الليل، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط 1 1997.

2 – نفسه: بيان في لغة اللاهوت، دار الملتقى، ط 1، 2001، الجزء الأول، ص 44–45

3 – علي فهمي خشيم: بحثا عن فرعون العربي، الدار العربية للكتاب، ط 1، 1985، ص 218 / 219

4 – سعيد الغانمي: ملحمة الحدود القصوى، المركز الثقافي العربي، ط 1، 2000، ص 40

5 – جان لابلانش و ج. ب. بونتاليس: معجم مصطلحات التحليل النفسي. تر: مصطفى حجازي، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط 1، 1985، ص 353.

*أستاذ مبرز في اللغة العربية – أفورار – المغرب

مجلة المقتطف

قراءات

السنة الـ11

العدد: 77

مارس / ربيع 2012

مجلة المقتطف

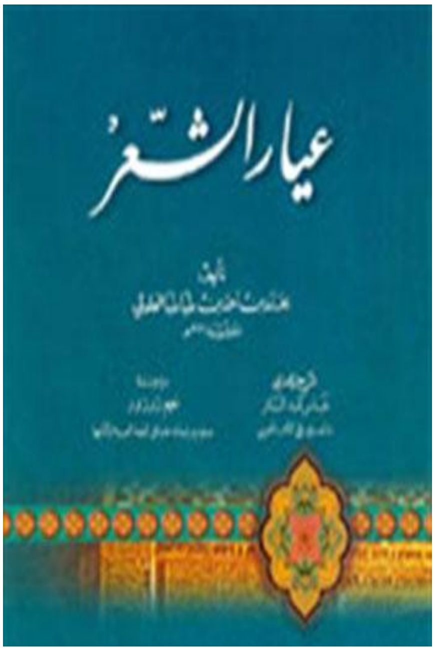
قراءات

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

نظرية التلقي عند ابن طباطبا في كتابه "عيار الشعر"

ابتسام محفوظ محمود ابو محفوظ –مصر

اعتنى النقد العربي القديم بالمتلقي سامعا وقارئا، ووضعه في منزلة مهمة من منازل الأدب، فهو الموئل والغاية التي يقف عندها الأدب، وكيفية تلقي النص وأثر النصوص في نفوس متلقيها هو جوهر القضايا النقدية وجوهر الأدب، فللنص مواضعاته وللمتلقي مواضعاته وطرقه في فهم النص، واتخاذ موقف منه، وله استعداد نفسي ان قل أو ضعف قل التأثير أو انعدم، لكن كلا من الشاعر والمتلقي يضمهما نظام بياني واحد هو البيان العربي الذي يجعل أحدهما في حوار دائم مع الاخر.



وقد تنبه النقاد والبلاغيون العرب لحيوية وعي المتلقي بالنص وبما يحمله من معان ودلالات، والوعي هنا لا يكون بالفهم وحده وانما بالقدرة على معالجة النص بكيفية لا تحرفه عن مساره ولا تقرأه في دائرة خارجة عما يحتمله، أو ما أراد اليه مبدعه، وفي ذلك اشارة الى خطورة الدور الذي يؤديه المتلقي حيال النصوص، والى أثره في توجيهها واكتناه معانيها وقدرته على وأدها أو حرفها عن سياقاتها،ولهذا عنوا عناية خاصة بالتنبيه على صفاته، وبيان ما يؤهله ليكون حريا بالخوض فيها وخليقا بأن يستمع اليه ويتقبل رأيه.

وقد تناولت في هذه الورقة البحثية موضوع التلقي في كتاب " عيار الشعر " لابن طباطبا، لانه من أوائل من تناول هذه القضية وتقرى كوامنها وأصل لها في التراث النقدي العربي، ومن هنا كان تناول هذه القضية باعتبارها محاولة للوقوف على المنجز النقدي المتعلق بالتلقي الذي قدمه ابن طباطبا في " عيار الشعر ".

وقد تناولت فيها مفهوم التلقي عند ابن طباطبا والمتلقي الذي يريده انطلاقا من وظيفة الشعر أو وظائفه المتعددة التي تستند في الأصل الى الوظيفة الاجتماعية عنده معتمدا على نماذج الشعر العربي القديم التي يدور أغلبها في اطار المديح والهجاء.

- التلقي عند ابن طباطبا

اهتم النقد العربي القديم والبلاغة العربية بالتلقي، ولعلنا نلمس شيئا من ذلك عند الجاحظ الذي حاول ابتكار طرق للمحافظة على نباهة المتلقي وكسب انتباهه اذ يقول: " وجه التدبير في الكتاب اذا طال أن يداوي مؤلفه نشاط القارئ له، ويسوقه الى حظه بالاحتيال فمن ذلك أن يخرجه من شيء الى شيء ومن باب الى باب بعد أن لا يخرجه من ذلك الفن ومن جمهور ذلك العلم " "1".

يدل قول الجاحظ السابق على ادراكه لابعاد التلقي وضرورة مشاركة القارئ في اظهار النص، ولكننا نجد صدى لهذه الفكرة عند ابن طباطبا العلوي الذي عني بالتلقي في كثير من فقرات كتابه " عيار الشعر ".

والمتلقي الذي يقصده ابن طباطبا ويتوجه اليه "هو ذلك الذي امتلك القدرة الثقافية والنفسية التي تكفل له التواصل مع النص، فهو لا يعبأ بمتلق سلبي لا تهزه الكلمات ولا وقع صداها، حين تتحول بالقراءة من صور رمزية بصرية الى صور ذهنية...اذ العلاقة بين المتلقي والشاعر هي التي تحقق عيار الشعر، لذا ينبغي النظر الى"عيار الشعر"من زاوية جديدة هي التفاعل بين أطراف العملية الابداعية""2"،وفي ذلك يقول ابن طباطبا: " وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب فما قبله أو اصطفاه فهو واف وما مجه ونفاه فهو ناقص.

والعلة في قبول الفهم الناقد للشعر الحسن الذي يرد عليه، ونفيه للقبيح منه، واهتزازه لما يقبله وتكرهه لما ينفيه.ان كل حاسة من حواس البدن انما تتقبل ما يتصل بها مما طبعت له، اذا كان وروده عليها ورودا لطيفا باعتدال لا جور فيه وبموافقة لا مضادة معها، فالعين تألف المرأى الحسن " "3".

والناقد يضرب بسهمه بعيدا بل ابعد بكثير مما ورد في ظاهر النص، فتقبل النص هو كل مزدوج من السمع والبصر والذوق والمخيلة والعقل، فهي وحدة الكائن في مقابل وحدة النص. يقول ابن طباطبا: " واليد تنعم بالملمس اللين الناعم وتتأذى بالخشن المؤذي، والفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق. والجائز المألوف ويتشوف اليه ويتجلى له، ويستوحش من الكلام الجائر الخطأ الباطل والمحال المجهول المنكر وينفر منه ويصدأ له فاذا كان الكلام الوارد على الفهم منظوما مصفى من كدر العي مقوما من أود الخطأ واللحن، سالما من جور التاليف، موزونا بميزان الصواب لفظا ومعنى وتركيبا اتسعت طرقه، ولطفت مواجله، فقبلع الفهم وارتاح له، وانس به واذا ورد عليه على ضد هذه الصفة وكان باطلا محالا مجهولا انسدت طرقه ونفاه واستوحش عنه حسه به، وصدئ له " "4".

لقد توجه ابن طباطبا نحو المتلقي عندما وضع معادلة الشعر في جانب والمتلقي في الجانب الاخر، وأحدهما يستمد وجوده من الاخر "5".

- تلقي النص:العامل الجمالي

التفت ابن طباطبا الى ما يتسم به الشعر من قوة على التأثير حتى لكأنه السحر أو هو أشد وقد عبر عن ذلك أحسن تعبير حين قال " فاذا ورد عليك الشعر اللطيف المعنى، الحلو اللفظ، التام البيان، المعتدل الوزن، مازج الروح ولاءم الفهم وكان أنفذ من نفث السحر وأخفى دبيبا من الرقى، واشد اطرابا من الغناء، فسل السخائم، وحلل العقد وسخى الشحيح، وشجع الجبان، وكان كالخمر في لطف دبيبه وهزة اثارته ""6" لكن ابن طباطبا ينبه على أن تحقيق الامتاع لا يكفي وحده كي يتحقق المراد من الشعر، بل لا بد أن يتوافر الى جانب الامتاع صواب المعنى،واذ ذاك يكون حال الشعركمثل " الغناء المطرب الذي يتضاعف له طرب مستمعه المتفهم لمعناه ولفظه مع طيب الحانه ""7".

يعرض ابن طباطبا في هذا النص تصوره لكيفية تلقي الشعر المبنية على ضرورة فهمه، وهذا أمر معقول مسلم به، اذ لا يتأثر المرء بشيء لا يفهمه وقبول الفهم عنده لا يختلف عن قبول الحواس لما يرد عليها ملائما لها ومقبولا عندها، فالحواس هي الوسيلة الى هذا الفهم وادراك عناصر الجمال في الجميل، فالذوق يلتذ بالحلو ويتأذى من المر فيرى عملية التلقي بالفهم مماثلة لعملية التلقي بالحواس،فنراه يربط بين الشعر وما يلذ من الاشياء لذة حسية، كالغناء بالنسبة لحاسة السمع، وكالارابيح الطيبة بالنسبة لحاسة الشم وكالنقوش الملونة بالنسبة للعين وكالملامس اللذيذة بالنسبة للحس، اذ يقول: " وللأشعار الحسنة على اختلافها مواقع لطيفة عند الفهم لا تحد كيفيتها كمواقع الطعوم المركبة الخفية التركيب اللذيذة المذاق، وكالارابيج الفائحة المختلفة الطيب والنسيم وكالنقوش الملونة التقاسيم والاصباغ، وكالايقاع المطرب المختلف التأليف، وكالملامس اللذيذة الشهية الحس...أعني الأشعار الحسنة للفهم فيلتذها ويقبلها""8".

ولكنه يدرك أن اللذة الناجمة عن سماع الشعر ليست عابرة كلذة الجسد وانما هي لذة باقية فالشعر كالحكمة "غذاء الروح" "9 " وهو يقارن بين ما يحدثه الاستمتاع بهذه الملاذ وما يحدثه الشعر عند ورود ه على الفهم وأثره في النفس وهو الامتاع.

وقد لفت الحاح ابن طباطبا على فكرة المتعة المترتبة على الجمال في الشعر نظر احسان عباس فعده بسبب ذلك من النقاد الجماليين "10".

وذهب محمد زغلول سلام الى أن فهم ابن طباطبا لتأثير الشعر في النفس يقرب من فهم أرسطو لدور المأساة في النفس، اذ يرى أنها تطهر النفس عن طريق تخليصها من الاحاسيس والانفعالات الضارة"11"، فالتطهير الذي ارتأه أرسطوبالنسبة للمأساة قريب من سل السخائم الذي ارتأه ابن طباطبا.

ووقف عند تأثير الشعر في السامع، ووجوب أن يوجه الشاعر عمله اليه على نحو يستطيع أن يكون مؤثرا فيه. بل رأى أن من الواجب على " صانع الشعر أن يصنعه صنعة متقنة لطيفة مقبولة حسنة مجتلبة لمحبة السامع له، والناظر اليه بعقله مستدعية لعشق المتأمل في محاسنه ""12"

ولم يقف عند حدود أثر الشعر في النفس وانما تجاوز ذلك فجعل شعور النفس واحساسها حكما يلجأ اليه ويعول عليه في بيان قوة الأثر الأدبي، فالمعنى الذي لا يؤثر في نفس القارئ ولا يستطيع اثارتها يصفه ابن طباطبا بأنه معنى بارد"12"، وقد مثل للشعر البارد بقصيدة الاعشى التي مطلعها:

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا واحتلت الغمر فالجدين فالفرعا

وعقب على القصيدة بقوله: "والقصيدة ستة وسبعون بيتا التكلف فيها ظاهر الا في ستة أبيات " 13".

لقد كان ابن طباطبا "سباقا الى الحديث عن الأثر النفسي الذي يتركه تحدي النص الأدبي للمشاعر التي قد تكون متصلة في نفوس الناس فتحول بينهم وبين تذوق الجمال الفني فيه ""14 "،وعبر عن ذلك بقوله: " والنفس تسكن الى كل ما وافق هواها، وتقلق مما يخالفه ولها أحوال تتصرف بها، فاذا ورد عليها في حالة من حالاتها ما يوافقها اهتزت له، وحدثت لها أريحية وطرب، فاذا ورد عليها ما يخالفها قلقت واستوحشت " " 15 ".

ويرى الدكتور عز الدين اسماعيل أن ابن طباطبا يعتمد على الذات الناقدة ويتخذ من احساسها أساس الحكم، لأن مشاعر الذات المفردة لا تتحدث عن العناصر الموضوعية في جمال الجميل، ولكنها تتحدث عن الجميل الذي هو فيها، ونراه في القول السابق يربط بين حالة المتلقي النفسية، وارتباط الحكم على الشيءالمتلقى بها.

فالحواس وسيلة الفهم وادراك عناصر الجمال، وسبق ان رأينا أن الحواس وسيلة للحكم على جمال الجميل في الصورة الفسيلوجية من الأساس النفسي فهل الأساس الجمالي هنا هو نفس الصورة الفسيولوجية أو الحسية من الأساس النفسي ؟ الواقع أنهما مختلفتان والفارق بينهما جوهري، لأن الأساس الحسي هناك يفسر من خلال المشاعر الوجدانية، فعندما يقال هذه الالفاظ باردة فنا البرودة تحس حقا وترتجف لها النفس، وعندما نقول هذا الكلام تفوح منه رائحة عطرة، فان الرائحة العطرة ادراك حسي يحمل اثارة وجدانية،وليست البرودة أو الرائحة العطرة أجزاء أو عناصر تتمثل في الكلام، وانما هي تتمثل أولا في نفوسنا. أما الأساس الحسي فهو وان اعتمد على الحواس فانه يرجع أخر الأمر الى العقل فما تدركه الحواس لا يفسر بانفعال نفسي ولكنه يفسر في العقل،

والعقل يحكم عليه بالصحة أو الخطأ أو يرضى عنه أو يرفضه، بمقدار ما يتمثل فيه للقوانين الطبيعية المتوافقة في الخارج وفي العقل. فالأساس الحسي النفسي يضع في الاشياء مشاعر من خلال المدركات الحسية، والأساس الحسي العقلي يكشف في الاشياء قوانين تتفق معه من خلال هذه المدركات الحسية "16 ".

لكن الجميل وحده لا يكفي كي يكون ممتعا لذيذا، اذ لا بد لهذا الجميل من أن يكون مفيدا، وفي ذلك يقول:
" أما المقتصر على طيب اللحن منه دون ما سواه فناقص الطرب ""17".

يتضح من ذلك أن المفهوم الجمالي ليس وحده من تضع البنية البيانية العربية نفسها من أجله، بل يقف معه المفهوم القيمي وهو يحث على الفعل وينسجم مع التغيير.

والجمال في النقد العربي ليس الشعور باللذة فقط لأن جمال النص يشكله عاملان أساسيان أشار اليهما ابن طباطبا في عيار الشعر اذ يقول: " فالعين تألف المرأى الحسن وتقذى بالمر أى القبيح الكريه والانف يقبل المشم الطيب ويتأذى بالمنتن الخبيث، والفهم يلتذ بالمذاق الحلو ويمج البشع المر ""18".

غير أن هذا العامل يبقى دون اكتمال حتى يتحقق العامل الثاني الذي يشير الى أثر الجميل في" أن يسل السخائم ويحل العقد ""19"، واذ نلاحظ ارتباط كلامه الاول باللذة والمنفعة الجمالية الخالصة ينصرف كلامه الاخر الى الحث على الفعل، قطبان أساسيان يشكلان جوهر القيمة الجمالية عند ابن طباطبا، فقد جمع بين الجمال والفائدة، فالشعر " ما ان عري من معنى بديع لم يعر من حسن الديباجة وما خالف هذا فليس بشعر " "20"، فالجمال عنصر اساسي في الابداع لا لذاته فحسب وانما لما يقرب المسافة بين النص ومتلقيه.وهو بهذا الفهم يصبح منهجا ليس في الابداع وحده بل ينسحب على التلقي بوصفه ادراكا للنص وتحقيقا لمعانيه ودلالاته "21".

تنحصر ركائز المنهج الجمالي عند ابن طباطبا في خصوصية علاقة النص بمتلقيه منذ اللحظة الاولى التي يشرع فيها بابداعه الى بلوغ المتلقي مراده منه فهما ولذة وتأثرا ولعل لحظة اتصاله بالنص ذات أهمية خاصة لعلاقتها الوثيقة بجذبه واستقباله والاقبال عليه، ولا شك في أن سحر النص يكمن في أسره وفي روعة تجليه للمتلقي حين يغوص على كوامن لم تلن له أول الامر فراعته وقادته جاريا وراءها حتى لان قيادها فأسلمته أمرها بعد اعتياص "22".

ويكشف ابن طباطبا في سعيه لبيان الجوانب التي يظهر بها حسن الشعر ويقرب بها من المتلقي فهما ولذة عن علة جمالية أخرى للنص تلك هي موافقته للحال التي يعد معناه لها " كالمدح في حال المفاخرة وحضور من يكبت بانشاده من الاغراء ومن يسر به من الاولياء وكالهجاء في حال مباراة المهاجى والحط منه حيث ينكي فيه استماعه له" "23"، فاذا كان المبدع صادقا فيما يعبر عنه واتفقت المعاني التي يقصد اليها والحالات المصاحبة المتقدمة " تضاعف حسن موقعها عند مستمعها ولا سيما اذا ايدت بما يجلب القلوب من الصدق عن ذات النفس بكشف المعاني المختلجة فيها والتصريح بما كان يكتم منها " "24".

كما كان للنص الشعري مساحة خاصة برزت فيها جوانب جمالية أخرى متعلقة بتخير الوزن والقافية المناسبين بما يحقق الشعور باللذة للمتلقي " وللشعر الموزون ايقاع يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه، فاذا اجتمع للفهم مع صحة الوزن الشعر صحة المعنى وعذوبة اللفظ فصفا مسموعه ومعقوله من الكدر تم قبوله له واشتماله عليه " "25 "

ويزيد في جمالية النص تبدي الاعتدال في النص بوصفه بنية متماسكة ظهر عند ابن طباطبا من تبديه في الالفاظ وحدها، فالنص لكي يكون مؤثرا أسرا ينبغي له أن " لا يكون ملفقا مرقوعا بل يكون كالسبيكة المفرغة " "26". وقد فضل القصيدة التي كأنها بيت والبيت الذي كأنه كلمة والقصيدة التي تكون كأنها "كلمة واحدة في اشتباه أولها باخرها:نسجا وحسنا وفصاحة وجزالة الفاظ ودقة معان وصواب تأليف " "27".

كما ان الاعتدال تجسده مشاكلة الالفاظ للمعاني فللكلام " جسد وروح، فجسده النطق وروحه معناه، فواجب على صانع الشعر أن يصنعه صنعة متقنة لطيفة مقبولة مستحسنة مجتلبة لمحبة السامع له والناظر بعقله اليه مستدعية لعشق المتأمل في محاسنه والمتفرس في بدائعه فيحسنه جسما ويحققه روحا ""28".

ولكن اثارة اللذة عند المتلقين لا تعني تماثلهم في عملية التلقي. ان اللذة التي يولدها الشعر متفاوتة أو متعددة كاللذة التي تنتج هن الحواس، وكيفياتها لا تحد كلذة الرسوم والايقاعات، وما دامت الأشعار نفسها مختلفة فاللذة الناتجة عنها مختلفة بالضرورة. الا أن الاختلاف يرد الى عملية التوافق التي تتم بين نوع المتلقي وحالته ونوع القصيدة التي يؤثرها وكيفياتها "29"، فالشعر على تحصيل جنسه " متشابه الجملة، متفاوت التحصيل. مختلف كاختلاف الناس في صورهم، وأصواتهم، وعقولهم، وحظوظهم، وشمائلهم، وأخلاقهم، فهم متفاضلون في هذه المعاني، وكذلك الأشعار هي متفاضلة في الحسن على تساويها في الجنس، ومواقعها من اختيار الناس اياها كمواقع

الصور الحسنة عندهم واختيارهم لما يستحسنونه فيها، ولكل اختيار يؤثره، وهوى يتبعه، وبغية لا يستبدل بها ولا يؤثر سواها " "30".

ومعنى ذلك أن قيام اللذة الشعرية على مبدأ واحد هو الاعتدال، لا ينفي الخلاف على مستوى الذوق الفردي، مما يؤكد تكيف لذة المتلقي نتيجة تكويته المتميز، الذي يتجاوب مع تكوين مجموعة من القصائد المتميزة وبسبب من هذا وجه ابن طباطبا الى أهمية ظهور النص مؤتلفا لا تفاوت في مستواه اللغوي، ولا في أسلوب المبدع بين أوله وأخره با عد التفاوت في نصوص المبدع المتعددة عيبا من العيوب "31"فالشاعر " اذا أسس شعره على أن يأتي فيه بالكلام البدوي الفصيح لم يخلط به الحضري المولد،، واذا أتى بلفظة غريبة أتبعها أخواتها وكذلك اذا سهل الفاظه لم يخلط بها الالفاظ الوحشية النافرة الصعبة القياد ""32".

ولا بد من التنويه الى التعالق الحميم بين جمال التشكيل وانكشاف المعنى أو خفائه وقربه من المتلقي أو بعده عنه واقباله عليه وعلى تأمله أو نفوره منه، اذ ان التفكير في شأن المعنى مرحلة تالية لتلقي اللفظ ويترتب على هذا نتيجة منطقية طبيعية تتمثل في أن المتلقي لن يسعى لتجسيد المرحلة التالية الا اذا وجد في الاولى ما يغريه ويثيره وفي سياق كهذا توؤل جمالية التشكيل بالمتلقي الى أحد أمرين:اما أن يستمتع بها وحدها، فاذا بحث عن معنى وراء التشكيل الرائق لم يجده شيئا أو وجد ما يمتع فهمه كما استمتع سمعه، واما أن يرفض عن النص لما يفتقر اليه من جماليات"33"، وفي ذلك يقول ابن طباطبا: " ومنها أشعار مموهة مزخرفة عذبة، تروق الأسماع والافهام اذا مرت صفحا، فاذا حصلت وانتقدت بهرجت معانيها، وزيفت ألفاظها، ومجت حلاوتها، ولم يصلح نقضها لبناء يستأنف منه ""34".

وقد قصر الجميل على النافع وعلل نزوع النفس الى الجمال بنزوعها الى الفضيلة، ان الجمال في هذه الحال يضحي وسيلة لا غاية في اطار وظيفي للنص كونه يؤدي الى غيره ولا يكتفي بالنظر اله بما يحقق من متعة جمالية خالصة فالشعر الجميل عند ابن طباطبا هو "الذي يمازج الروح ويلاءم الفهم،وفي ضوء ذلك أشار الى الوظيفة الاجتماعية للشعر.

– العامل الاجتماعي

ركز ابن طباطبا على الوظيفة الاجتماعية للشعر، اذ انطلق من العبارة التي تصف الشعر بأنه "ديوان العرب" تلك العبارة التي تؤكد تصوير الشعر للجوانب المادية والمعنويةمن حياة العرب " أي أن الشعر يصور حياة العرب والحالات المتصفة في خلقها وخلقها من حال الطفولة الى حال الهرم، وفي حال الحياة الى حال الموت ""35 ".

مجلة المقتطف

قراءات

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

وبسبب هذا التصوير كان الشعر متصفا بالصدق، ينقل الاشياء كما هي، ويصور الحالات تصويرا لا يخالف ما ذهبت اليه العرب في معانيها، ويركز على المثل الاخلاقية لهم، ويدور هذا التركيز حول نقيضين لا يفارق الشعر اطارهما في الغالب، هما: خصال ممدحة تمدحت بها العرب ومدحت بها، وخصال مذمومة نفرت منها العرب وذمت من كان عليها أو رمى بها "36"، وفي ذلك يقول ابن طباطبا: " فان من كان قبلنا في الجاهلية الجهلاء وفي صدر الاسلام من الشعراء كانوا يؤسسون أشعارهم في المعاني التي ركبوها على القصد للصدق فيها مديحا وهجاء.. وكان مجرى ما يوردونه منه مجرى القصص الحق والمخاطبات بالصدق " "37".

ومعنى ذلك أن الغاية التي يسعى اليها الشاعر في أي منهما مرتبطة بالخير، وما يخرج عن هذا الشعر لا يدخل بداهة في الشعر الجيد، وترتبط هذه الغاية بالوظيفة الأخلاقية المباشرة للشعر عن طريق ربط الجيد من الشعر بتصوير المثل الأخلاقية التي امتدحها العرب والتي ثبتها الاسلام، وأهم قيمة أخلاقية في هذا المجال هي قيمة الصدق التي هي خاصية أساسية من خصائص الشعر القديم لأنه بني على القصد الا ما احتمل فيه الكذب في حكم الشعر مثل الاغراق في الوصف والافراط في التشبيه، وقد ربط جابر عصفورالصدق عند ابن طباطبا بثلاث مستويات هي المبدع والمتلقي والواقع "38".

أما المستوى الأول فالصدق فيه داخلي يتصل بتوافق التجربة المعبر عنها مع ما يتفق في داخل المبدع أو اخلاصه في التعبير عنها فالشعر يحسن موقعه اذا أيدت أقواله " بما يجلب القلوب من الصدق عن ذات النفس بكشف المعاني المختلجة فيها والتصريح بما كان يكتم منها ""39". أما المستوى الثاني فيتصل بتوافق التجربة الفردية للمبدع مع ما جاءت به تجارب البشر من قبله" وليست تخلو الأشعار من أن يقتص فيها أشياء هي قائمة في النفوس فتحسن العبارة عنها، واظهار ما يمكن في الضمائر منها، فيبتهج السامع لما يرد عليه مما قد عرفه طبعه، وقبله فهمه فيثار ما كان مكنونا فينكشف للفهم غطاؤه فيتمكن من وجدانه بعد العناء في نشدانه كأن تودع الأشعار حكمة تألفها النفوس وترتاح لصدق القول فيها، وما أتت به التجارب منها، أو يتضمن الشعر أشياء توجبها أحوال الزمان على اختلافه كما توجبها حوادثه على تصرفها " "40".

أما المستوى الثالث فيتصل فيتصل بتوافق الضياغة مع الواقع الحقيقي أومع البعد التاريخي للوقائع" فاذا اضطر الشاعر الى اقتصاص خبر في شعره دبره تدبيرا يسلس له معه القول ويطرد فيه المعنى، فلا تكون الالفاظ خارجة عن جنس ما يقتضيه الخبر، بل تكون مؤيدة له وزائدة في رونقه وحسنه ""41".

وهذه المستويات الثلاثة تحدد الصدق على أساس محتواه الأخلاقي والمنطقي على حد سواء، والالحاح على الصدق لا بد أن يصحبه الحاح على الشعر الذي يبرز فيه المحتوى الأخلاقي واضحا

جليا، وفي ضوء هذا الفهم للشعر من حيث غايته أو مهمته يصبح للقصيدة "42" مجموعة من الاثار تحدثها في المتلقي اهمها تغيير سلوك المتلقي نحو الافضل" فتدفع به العظائم وتسل به السخائم وتخلب به العقول " "43"، وللوصول الى هذه المرتبة لا بد من اخلاص الشاعر في التعبير عما في داخله وابرازه في القصيدة فيحقق الشعر للمتلقي أثرا معرفيا لا سبيل الى تجاهله يتجلى في ابتهاج النفس لانتقالها من الخفي الى المعلوم أ.و ما يسميه ابن طباطبا " بانكشاف غطاء الفهم.

وعملية النظم في هذه الحالة صياغة لانفعال النفس بمجموعة من القيم أو محاولة لتصوير وتأكيد مجموعة من الخصال الأخلاقية، وهذه الصياغة تبهج المبدع لأنها تكشف له ما كان دفينا تبهج المتلقي لأنها تعرفه ببعض ما لم يكن يعرفه فيصبح للصدق مغزاه الأعمق، فيحدث فعل التعبير فعله في المبدع والمتلقي من أثار معرفية أصحاب النظرية الجمالية. اذ يرى جابر عصفور"44" أن ابن طباطبا الح على الوظيفة الاجتماعية للشعر، لكن هذه الوظيفة لن تتحقق الا ببراعة الشاعر وبما يتضمنه شعره من غرائب مستحسنة وعجائب بديعة مستطرفة من صفات وحكايات في كل فن توجبه الحال التي ينشأ قول الشعر من أجلها " فتدفع به العظائم، وتسل به السخائم، وتخلب به العقول، وتسحر به الالباب، لما يشتمل عليه من دقيق اللفظ ولطيف المعنى " "45".

وقد تحدد فهم هذا التأثير في ضوء ثلاثية الادراك، والنزوع، والسلوك، وقد كان للعامل الثقافي واسهامه في عمق تحديد ابن طباطبا للأثر الأخلاقي للشعر.
لكن الاساس الأخلاقي في فهم مهمة الشعر وأثاره يمكن أن يؤدي الى مجموعة من المزالق أشار اليها جابر عصفور، أولها: كيفية معالجة شعر الغزل والوصف أو أي لون شعري لا يظهر بشكل مباشر معنى حكيما توجبه أحوال الزمان اذ يدخلها ابن طباطبا تحت اطار الأشعار المموهة " فمن الاشعار...أشعار مموهة، مزخرفة عذبة تروق الاسماع والافهام اذا مرت صفحا، فاذا حصلت وانتقدت بهرجت معانيها وزيفت الفاظها ومجت حلاوتها ولم يصلح نقضها لبناء يستأنف منه " "46"وقد تظل هذه الاشعار لاصقة بعالم الشعر على أساس من حسن صياغتها وزخرفتها العذبة، لكنها ستحتل مرتبة أقل في سلم التقييم، فلا تصل الى مرتبة الاشعار التي تخوض مباشرة في مجال المعنى الحكيم "47".

كما أن الالحاح على مبدأ الصدق يقود الى مأزق اخر اذ أنه يثبت مفهوم المحاكاة من زاويتين: من الزاوية الخارجية التي تتصل بصدق الشاعر في ذكر الاحداث والوقائع والاوصاف ومن الزاوية الداخلية التي تتصل بصدق الشاعر عن ذات نفسه بكشف المعاني المختلجة فيها وهذا كله يغفل الطابع التشكيلي لعملية الابداع الشعري ويجعل القصيدة مجرد محاكاة اليقللعالم "48 ".

وهناك خطورة ثالثة لمقولة الصدق،اذ انها تصرفنا عن الشعر الى الشاعر فيبحث الناقد عن التطابق بين القصيدة وصاحبها، مما يعكر مبدأ الصياغة الذي أكده ابن طباطبا، كما أن هذا الالحاح على الصدق لم يواجه مشكلة الشاعر المحدث في زمانه الذي لم يعد مطالبا بالصدق، اذ كيف يضع للشعر كله عيارا منطلقا من غرضي المديح والهجاء فيتخلى عن مبدأ الصدق للشاعر المحدث في سبيل المواضعات الاجتماعية التي تحوط الشاعر في عصره "49 ".

الخلاصة

يتلازم مفهوم النص ومفهوم التلقي تلازما لا انفكاك له، وهذا ما أكدته الدراسات العربية التراثية، وتؤكده الدراسات النقدية الحديثة، لا سيما نظرية الاستقبال التي تؤمن بسلطة القراءة على سيادة وعي جديد لفهم النص وفهم العلاقة بين النص والمتلقي،

الظاهر أن العرب تفهموا أن للكلمة دورا اجتماعيا واستمسكوا بعرى ما تؤديه من وظائف على مستوى التواصل والتفاهم والتأثير والاقناع والأخلاق والتربية والمعرفة.

الا أن النظر في النصوص باعتبار وظيفتها الاجتماعية فحسب يودي بالصورة الشعرية ويفرض على الابداع ذوقا خاصا بالنظر الى أثره التربوي واذا صح مثل هذا التوجيه فان اعتبار الوظيفةالاجتماعية أو الاخلاقية مقتل للابداع ويقضي قضاء مبرما على عنصري المحاكاة والتخييل اللذين عدهما الفلاسفة ومن تأثر بهما من النقاد الاساس الذي لا يكون الشعر الا به، لأن النظرة الأخلاقية تركز على الموضوع وعلى التأثير من خلاله وتقوم النص على هدي مما يحمله من قيم ويحض عليه من أخلاق وكأنها في معزل عن القيمة الجمالية أو كأن لها بنيتها ووجودها المستقلان ضمن منظومة القيم الدينية والاجتماعية "50"، الا ان النقاد العرب أشاروا الى تعددالوظائف التي تؤديها الكلمة مما جعلهم يعنون عناية خاصة بمراعاة جودة كلامهم ويلتفتون الى أثره في سامعيه أو قارئيه.

وقد قادت النظرة النفعية للنصوص وضرورة أن يؤدي النص وظيفة لمتلقيه، وانطباع االعرب على تفضيل الجمال السهل البسيط الى المزج بين الطرفين في النقد العربي فأضحت نظرتهم لخير النصوص مقصورة على تلك التي يجتمع فيها للمتلقي المتعة والفائدة دون اهمال احداهما أو تغليبها على قسيمتها في النص.

والذي نراه أن الشعر عند ابن طباطبا نافع ولذيذ معا لذلك تتحدد قيمته عنده في أنه نافع وممتع لأنه يحقق هذين النوعين من الاستجابة لدى المتلقي وهما الشعور باللذة والتأثير في سلوك المتلقي بقصد توجيه أفعاله.

فهو نافع من حيث أن له اسهامه في توجيه الانسان والارتقاء به عن طريق التأثير في سلوكه وتوجيه أفعاله الى الوجهة التي تمكنه من تحقيق السعادة له،مع الملاحظة أن ابن طباطبا يحدد أفضلية الفن الذي يفيد مع اللذة شيئا أخر لما يقدمه من منفعة مباشرة تتصل بتقويم الانسان وتهذيبه، فالشعور باللذة أو المتعة في الشعر ليس مقصودا لذاته، وانما هي لذة ذات محتوى أخلاقي،وليس ذلك تقليلا من شأن هذا الجانب في الشعر بل تقديرا له. لقد أدرك ابن طباطبا أن هذا اللون من الشعر فيه تحقيق لراحة الانسان.

وهو يقر أن الجانب الممتع من الشعر له غاية موجهة في الامور الجادة والنافعة، فالأعلى قيمة هو الفن الجاد لأنه أكثر فائدة وغناء من غيره.

الهوامش:

1 الجاحظ "ابو عثمان بن بحر":البيان والتبيين، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ج3، ص 366.

2 محمد المبارك: استقبال النص عند العرب بيروت، ط1، 1999،ص153-154..

3 ابن طباطبا: عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، دمشق، 2005،ص19

4 السابق نفسه.

5 انظر استقبال النص ص154-155.

6- السابق،ص23.

7- السابق،ص21.

8- السابق ص 22.

9- انظر السابق ص 22.

10- تاريخ النقد الادبي عند العرب: احسان عباس، عمان، دار الشروق، 1993، ص141.

11- تاريخ النقد العربي: محمد زغلول سلام، القاهرة، دار المعارف. ص 149.

12- شريف راغب علاونة:قضايا النقد الادبي والبلاغة في كتاب عيار الشعر في ضوء النقد الحديث، ص 113.

13- عيار الشعر ص 76.

14 – راغب علاونة ص 113.

15 – عيار الشعر ص 21.

16- الأسس الجمالية في النقد العربي: عز الدين اسماعيل، القاهرة، 1974، ص 202.

17 – عيارالشعر ص21.

18 عيار الشعر ص 20.

19 – السابق ص 23.

20 – السابق ص 24.

21 نظرية التلقي عند العرب "دراسة في التراث النقدي والبلاغي ": خالد عبد الرؤوف الجبر رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية 2002، ص1

22- انظر السابق.

23-عيار الشعر ص23.

24 – السابق ص 24.

25- السابق ص 21.

26- السابق ص 7.

27- عيار الشعر،ص 213. 28 – السابق ص 203.

29 – جابر عصفور:مفهوم الشعر "دراسة في التراث النقدي "، القاهرة، 1978 ص96.

30 - عيار الشعر ص7

31- نظرية التلقي ص171

32 عيار الشعر ص 8-9

33- نظرية التلقي ص 173

34- عيار الشعر ص 11.

35- عيار الشعر ص 15.

36- مفهوم الشعرص 59.

37 – عيار الشعر ص13.

38 - مفهوم الشعر ص 64.

39 - عيار ص24.

40 - عيار ص 202-203.

41-" عيار ص 43.

42 - مفهوم الشعر ص 69.

43- عيار ص 203.

44 - مفهوم الشعر ص73.

45- عيار ص 203.

46- عيار الشعر ص 11.

47 - جابر عصفور ص104.

48 – السابق نفسه.
49 – السابق نفسه.
50 – نظرية التلقي ص 212.

المراجع:

- اسماعيل "عز الدين": الأسس الجمالية في النقد العربي:، القاهرة، 1974.
- الجاحظ" ابو عثمان بن بحر":البيان والتبيين، مؤسسة الخانجي، القاهرة.
- الجبر"خالد عبد الرؤوف": نظرية التلقي عند العرب "دراسة في التراث النقدي والبلاغي "، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية 2002.
- سلام" محمد زغلول ": تاريخ النقد العربي:، القاهرة، دار المعارف.
- طباطبا" ابن:" عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، دمشق، 2005.
- عباس " احسان ": تاريخ النقد الادبي عند العرب:، عمان، دار الشروق، 1993.
- عصفور" جابر ":مفهوم الشعر "دراسة في التراث النقدي "، القاهرة، 1978 ص96
- علاونة" شريف راغب ":قضايا النقد الادبي والبلاغة في كتاب عيار الشعر في ضوء النقد الحديث، عمان، ط1. 2003.
- المبارك" محمد ": استقبال النص عند العرب بيروت، ط1، 1999.

مجلة
المقتطف

قراءات

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

مجلة
المقتطف

قراءات

لماذا يفقد الشعر الحديث بوصلته عند كعبة القريض؟

د. نضير الخزرجي–العراق

تتشابه "النغمة" مع "الكلمة" من حيث التفعيلة فكلاهما "فعلة"، فتلك حروف صوتية وهذه أوتار نغمية، والإثنتان يقع سهامهما على المسامع، وتظهر آثارهما على تقاسيم وجه الإنسان وردود فعله بما تفرزه الخلجات المتفاعلة على شغاف القلب والمتناغمة مع مجسات الروح، لكن المتلقي يطرب للنغمة بوصفها إيقاعات متناسقة المديات هدفها الاستحواذ على مسامعه ومشاعره وتوجيهها لمراد النغمات "الموسيقى" فيقال هذه موسيقى هادئة وتلك صاخبة، وأخذت الموسيقى مسميات مختلفة تُعرف بها، وتدخل الكلمة في النغمة فتنتج الأغنية أو النشيد الوطني، وما إلى ذلك.

ولكن هل بالإمكان أن تصبح الكلمة ذات نغمة وإيقاع من دون استعمال لأدوات العزف والموسيقى؟

الجواب وببساطة نلحظه في الشعر العربي العمودي وفي النثر المقفى وفي العبارات المسجَّعة، فهذا النوع من الكلمات المنتظمة شعراً أو نثراً يملك من الإيقاعات ما يجعلها حسنة الوقع على المسامع والقلوب من غير الحاجة إلى استعمال آلات العزف لاستحداث الإيقاع المطلوب وتهييج النفس أو تهدئتها، وهذه واحدة من مميزات الشعر العربي بل من أكثرها قيمة، وتنبع قيمتها من كون الإيقاع هو القبان الذي توزن به الكلمات المكونة للبيت الشعري، وهو بمثابة القالب والنموذج، وبتعبير آخر "الوزن الشعري".

وبالطبع لا يعني أن الشعراء جميعهم يعرفون الأوزان الشعرية وقواعدها، بل هنا تظهر أهمية الشعر العربي، فمعظم الشعراء المجيدين ينظمون الشعر دون أن يعرفوا وزنه أو بحره، وهم ينظمون على السليقة، وهذا الأمر كان قائما في العصر الجاهلي وفي بدايات عصر الإسلام وإلى يومنا هذا، لكن المنعطف الأدبي حصل على يد الخليل الفراهيدي "100– 170هـ" الذي ابتدع الأوزان بعد أن قام بتقطيع الشعر، فنُسب إليه علم الأوزان والبحور، ولم تكن المهمة بالسهلة وربما مروره على سوق الصفارين والنحاسين ألهمه فكرة تقطيع الشعر وتأصيل أوزانه وبحوره، فكانت طرقات النحاسين ترنّ في أذنيه فيستعذب صدى الحديد الضارب على صفحة النحاس، وهو ما جعله يخلو بنفسه في داره في البصرة الفيحاء يقطّع الأشعار ويستنطقها بصوت عال وهو العالم الضليع بعلوم عدة حتى ظن نجله أن أباه أصابه المسِّ والجنون، ولكنه جنون من نوع آخر تفتق عنه علم

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

الأوزان، وحتى لا تذهب الظنون بنجله بعيداً خاطبه الوالد شعراً من بحر الكامل وكان يريد أن يثنيه عن إعلان فضيحة جنون الأب:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني ** * أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني *** وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

وفي تقديري أن الخليل الفراهيدي الذي استعذبت مسامعه طرقات النحاس استوحى فكرة تقطيع الشعر من مدرسة الإمام علي"ع" "23ق هـ - 40هـ" الذي كان أول من ترجم دقات الناقوس وإيقاعاته، فكان أن مرّ ومعه الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري الخزرجي "16ق هـ - 78هـ" على راهب وهو يضرب الناقوس، فقال عليه السلام لجابر بن عبد الله: أتدري ما يقول هذا الناقوس؟

فقال الأنصاري: الله ورسوله أعلم!

قال عليه السلام هو يقول "من المتدارك":

حقّاً حقّاً حقّاً حقّا *** صدْقاً صدْقاً صدْقاً صدْقا

إنَّ الدنيا قدْ غرَّتْنا *** واستهوتْنا واستلهتنا

لسنا ندري ما قدّمنا *** إلاّ أنّا قد فرّطنا

يا ابن الدنيا مهلاً مهلا *** زنْ ما يأتي وزناً وزنا

ولللأوزان صلة

ولكن هل توقفت الأوزان الشعرية على ما اكتشفه االفراهيدي قبل أربعة عشر قرناً من الزمان؟ جانب من الإجابة نجدها في كتاب "الأوزان الشعرية العروض والقافية" للفقيه الأديب الشيخ محمد صادق الكرباسي الصادر نهاية عام 2011م في 719 صفحة من القطع الوزيري عن مكتبة دار علوم القرآن بكربلاء المقدسة "العراق" وبيت العلم للنابهين ببيروت "لبنان" قدم له وعلق عليه الأديب الجزائري الشاعر عبد العزيز بن مختار شبِّين بعد أن استفرغ المؤلف جهده في بيان علم العروض والقافية بوصفهما شرطان لازمان للشعر العمودي وبدونهما لا يُسمى شعراً وإنما نثرا مقفى أو كلاماً جارياً، فالعروض علم يتناول بيان وزن الشعر وميزانه وهو بمثابة القالب الذي فيه يتشكّل الشيء ويتمثله فلا يحيد عن ملامحه ومعالمه ومن خلاله يتضح السليم من السقيم وبه توزن كلمات البيت، وهذا العلم هو بحد ذاته بحر عميق يتناوله المؤلف في فصل مستقل أخذ من الكتاب 128 صفحة تناول فيه وبشكل تفصيلي علم العروض وقواعده، فما يفرق الشعر عن النثر أنه يتصف بالوزن والقافية وظهور المعنى وإثارة الأحاسيس، فالشعر الذي لا يدغدغ المشاعر والأحاسيس وإن توفرت فيه شروط القواعد العروضية فإنه نظم وهو متأخر رتبة عن الشعر، فكل شعر نظم وليس كل نظم شعراً.

ولأنَّ العروض علمٌ واسع وبحر زخّار، فإن تفريعاته كثيرة تبدأ من قواعد الكتابة العروضية وتنتهي بالدوائر العروضية وما بينهما البناء الشعري، تركيبة التفعيلة، الضرورات الشعرية، المصطلحات، التقاطيع الصوتية، مصطلحات أخرى، المعاقبة والمراقبة، قاعدة الخرم ومتعلقاته، أقسام الزحاف، أنواع العلة، والتفاعيل وفروعاتها الجائزة.

وأهم ما يتصف به الفصل الأول والفصلان الثاني والثالث أن العروضي الكرباسي بقدر ما استفاض في بيان العروض والقافية وشروحاتهما فإنه أحكم وضع الأساس لهذا العلم الغزير وأقام عليه بنيانه فجاءت التفريعات مُحكمة وكتاباً مفتوحاً لكل أديب وشاعر، ومنهاجاً دراسياً لكل جامعي وطالب علم، وقد تصفَّح الأديب الجزائري والضليع في البحور الخليلية الدكتور عبد العزيز شبّين أوراق مؤلفات الكرباسي الخاصة بالشعر وفنونه واكتشف أنه: "كلّما قلَّبت ورقة أردفت أخرى تُلهمني بجديد لم أعهده في كتب شتَّى، منهجاً، وأسلوباً، وشمولية وعمقاً، وأصالةً وتجديداً، فدرس فيه عروض الشعر دراسة تنظيرية لا أحسب لها نظيراً فيما سبق من الدراسات"، وقد جمع الكرباسي الأوزان الخليلية الخمسة عشر بحراً والسادس عشر "المتدارك" الذي أضافه الأخفش سعيد بن مسعدة البصري "ت 215هـ" في بيتين من الشعر من بحر الطويل الثاني:

طويلٌ يَمُدُّ البسطَ بالوفر كاملٌ *** ويهزجُ في رجزٍ ويَرْملُ مُسرعاً
وسَرِّحْ خفيفاً ضارعاً واقتضب لنا *** من اجتُثَّ مِنْ قُرْبٍ لتدركَ مطمعاً

والبيتان ينطويان على البحور التالية: الطويل، المديد، البسيط، الوافر، الكامل، الهزج، الرجز، الرمل، السريع، المنسرح، الخفيف، المضارع، المقتضب، المجتثّ، المتقارب، والمتدارك، إضافة إلى بحور أخرى مستحدثة هي: المستطيل والممتد والمطّرد والمنسرد والمتئد، وكلها جاءت في خمسة دوائر عروضية لها قدرة ضبط موسيقى البيت العربي ضبطاً هندسياً دائرياً على أساس التبديل الدوراني المتحرك خلاف حركة عقرب الساعة، ضمّت دوائر: المختلف، المتفق، المؤتلف، المجتلب، ودائرة المشتبه، وعليها توزعت البحور.

مقاييس وإيقاعات

إنَّ الحديث عن علم العروض هو حديث مطول ومستوعب عن الوزن الشعري أو البحر، فالكلمات المنسلخة الوزن هي خارجة عن ميزان الشعر، فكما يوزن الذهب بأجزاء المثقال يوزن البيت الشعري بالحركة، ومثله الزمن الموسيقي في النغمة الواحدة، لأن الشعر في محصلته إنشاء وإنشاد، نغمة وإيقاع، ولكن ما يميز الإيقاعَ الموسيقي أنَّ نغماته رُسِمَت أفقيا في مدرجات عمودية تبدأ من اليسار في حين أن الإيقاع الشعري تضمنته تفعيلات دائرية من أية حركت بدأ الشاعر انتهى إلى بحر بعينه حسب تقطيعات التفعيلة.

وإذا كان الفصل الثاني اختص بالأوزان أو البحور وأخذ من الكتاب أكثر من نصف صفحاته "163- 563"، فإن العروضي الكرباسي استحدث بحوراً كثيرة فاقت بحور الفراهيدي ضمّها في كتاب مستقل أسماه "بحور العروض" ضمَّ 210 بحور، بيد أن الذي بين أيدينا من شروحات واجتهادات عن البحور الخليلية وغيرها تعكس قيمة الشعر العربي وأحقيَّته بأن يكون ديوان العرب يحفظ تاريخهم بما فيه من صفحات يسر وعسر.

وبالإمكان من خلال الغوص في البحور اقتناص الكثير من جواهر المعرفة والدرر والحكم والمواعظ، ومن ذلك أن بحر الطويل الذي بلغت حروفه 48 حرفاً من ثمانية تفاعيل حظي بلقب أمير البحور، وربما أطلقوا عليه حمار البحور لكثرة تركيب العرب أشعارهم عليه فسمي من باب البلاغة الأدبية "ركوبا"، ويكفي أنَّ ثلاثاً من قصائد المعلقات استقلت ظهر مركبه، واحدة لامرئ القيس ابن حجر الكندي "130- 80 ق.ه"، وثانية لطرفة عمرو بن العبد الوائلي "ت ن 62ق.ه"، وثالثة لزهير بن أبي سلمى المزني "ت 13ق.ه"، وأشهرها قصيدة امرئ القيس:

قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل *** بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخول فحَوْمَلِ

وخيراً فعل الدكتور شبّين عندما أفرد وبشكل عام لكل بحر حكمة وموعظة من نظمه أو نظم المؤلف أو لغيرهما، ومن ذلك في بحر الوافر قول الكرباسي في تلميذ أساء الأدب في ساحة الأستاذ:

وكم لقَّنته سرَّ التفاني *** فلمّا خاض تجربة جفاني

وفي بحر المتدارك يحذرنا الشاعر شبِّين من الدهر وتقلباته:

زهرةُ العمر تذوي حذار الغُرور *** أينَ مِن سالفِ الدَّهْرِ يا بنَ القُبور؟!

ولا يتوقف المؤلف عند البحور الخليلية فيتنقل بين أروقة الأدب لبيان ألوان من الشعر وهي: السلسلة، الدُّوبيت، القُوما، الموشّحات، الزَّجل، المواليا، الكان وكان، المزدوج، المسمَّط، والحديث "الحر"، ثم يحط قلمه ودواته عند كل لون من هذه الألوان، وعلى هذا المنوال جرى قلم المقدم والمعلق، بيد أنه مكث طويلاً في تناول الشعر الحر، فالكرباسي انتقد قول الأديبة العراقية الراحلة نازك صادق الملائكة "1342- 1428ه" العازفة عن استعمال أسلوب الخليل بدعوى عجز المدرسة الخليلية عن إظهار المعنى وإيجازه وسهولته كما هو الحال في الشعر الحديث، وتساءل: ماذا تقول الملائكة في قول المتنبي أحمد بن الحسين "303- 354ه" من البسيط:

ما كلُّ ما يتمنَّى المرءُ يُدركُهُ *** تجري الرياحُ بما لا تشتهي السُّفُنُ

ومع هذا فإنه لا ينفي التزام الشعر الحديث بأصل التفعيلات وإن تخلّص من القافية والوزن، وتمسكه بالتقاطيع الموسيقية والوحدة النغمية وإن تحرر من قيد الوزن والقافية، لكن الدكتور شبِّين

يزيد من غرز خنجره النقدي في خاصرة الشعر الحديث أو الحر فهو عنده كالإبن الضال يخرجه من صبغته الشعرية ويعيده إلى خانة الكلام الحر: "لأنَّ الشعر وليدُ الإلهام، موزون مقفّى، فيه حكمة وإيحاء، وليس كما يدعونه بقصيدة النثر رموزاً مغلقة، وألفاظاً جوفاء، وإبهامات مبهمة.. لم يغذّه الإلهام فجاء أجوفَ يابساً، ولم يَخصّهُ البيان ولا الخيال فأتى بليداً ميتاً، خالياً من الروح، فاقداً للذوق، وكل كلام جاء على هذه الصورة فهو ليس من الشعر في شيء"، وكأن المعلق يحدثنا عن جدول كلمات متقاطعة قد نصرف فيه وقتاً طويلاً حتى نعرف المعنى والمراد من الكلام الذي شط عن الشعر الموزون وحاد.

جمالها في خواتيمها

لاشك أن الأعمال بخواتيمها إن خيراً فخيرا وإن شراً فشراً، وخاتمة العمل هي الماركة المسجلة لصاحبه، به يُنادى وعليه يجازى، ولا تخرج المعادلة الجمالية والذوقية ومنتهاها عن خاتمة البيت أو ما اشتهر في الأوزان الشعرية بالقافية أي الجزء الأخير من عجز البيت، فبه يتحدد الإيقاع الشعري أو النغم، ومن دونها خرجت القصيدة عن دائرة الشعر أو النظم.

والقافية هي العنوان الذي استقل به الفصل الثالث والأخير من "الأوزان الشعرية العروض والقافية"، ويُلاحظ أنَّ به تفرّد عنوان الكتاب أيضا، لأن العروض والقافية مثل سكة الشعر عليها تسير عربة الشعراء.

وإذا كان للقافية وعموم الشعر عيوبها ذكرها المؤلف بالتفصيل فإن للشعر محاسنه وإبداعاته وذوقياته، ختم به الفصل بإيراد أربعة عشر ذوقاً شعرياً يزيد من عذوبة الشعر ويظهر تمكّن الشاعر من الإبداع وهي: لزوم ما لا يلزم، التخميس، التشطير، التصدير، الإجازة، الإقتباس، التضمين، الموازبة، التشريع، الطرد والعكس، التطريز، الجناس، التفويف، والتسميط.

ومن أمثلة الذوقيات الشعرية ديوان "التفسير المنظوم" للمؤلف نفسه "مخطوط" وكل قصائده اقتباسات وتضمينات وتشطيرات لآيات القرآن الكريم.

ومن أمثلة المحسنات، الجناس في قول الشاعر من الوافر الأول:

طرقتُ البابَ حتى كلَّ متني *** فلمّا كلَّمتني كلَّمتني

وقالت لي أياسماعيلَ صبراً *** فقلتُ لها أياسمْا عيلَ صبري

فكلّ متني الأولى في البيت الأول أي تعب متني والثانية كأختها والثالثة بمعنى حدَّثتني، وإسماعيل في صدر البيت الثاني اسم علم للذكور وفي العجز "اسما" بمعنى أسماء وهو إسم علم للإناث، وعيل العجز والنقص.

مجلة المقتطف

قراءات

السنة الـ11

العدد: 77

مارس / ربيع 2012

في حقيقة الأمر أرى ومن خلال قراءتي المتأنية لكتاب "الأوزان الشعرية العروض والقافية" أن الأديب العروضي الدكتور محمد صادق الكرباسي لم تفتر عزيمته البحثية عند تناول فصول الكتاب على ما فيها من شروحات رئيسة وتفريعات دقيقة، ووصل خط النهاية كما بدأ به أولاً، كما أنَّ قلم المعلق لم يتوانَ عن ترصيع المتن بالتعليقات المستفيضة المتضمنة لإبداء الرأي والشواهد الشعرية، مما يعطي إنطباعاً خاصاً أن الكتاب هو جوهرة أدبية علمية متسقة تنم عن عقلية عروضية معززة بمعرفة موسوعية صلبة العود، ومتابعة حثيثة لدى المعلق مؤزرة بسليقة شعرية طيعة القود، لها الجاهزية على العوم في أبحرها والولوج في لجّاتها، وجوهرة بمقام "الأوزان الشعرية" لابد أن تجد مكانها المرموق في المحافل الأدبية والشعرية وبخاصة في الجامعات والأقسام الأدبية، ناهيك عن حاجة الأدباء والشعراء لمثل هذا الإبداع الأدبي الذي به يزينون أبياتهم ويرفعونها على قواعد سليمة.

مجلة المقتطف

قراءات

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

مجلة

المقتطف

دردشـة

السنة الـ11

العدد: 77

مارس / ربيع 2012



صحيفة ميادين تحاور جمعة عتيقة: حول مستقبل ليبيا والانتخابات والشريعة ...

الأديب محمد العريشية: بالنسبة للقارئ فإني لست جشعا إذ أكتفي بقلة هائلة!

سرت ... ماذا بعد؟

حاورته: هند علي

البرفسور سعاد الوحيدي: كان يوجعني فقط عبارات أسمعها من وقت لآخر أنتم اخترتم هذا، لا أحد يختار الغياب عن الوطن

حاورتها: فاطمة غندور

صحيفة ميادين تحاور جمعة عتيقة:
حول مستقبل ليبيا والانتخابات والشريعة ...



اغتنمنا فرصة وجودنا في القاهرة لندخل في حوار مطول مع جمعة عتيقة المناضل الوطني الذي عرفته سجون الوطن من أجل قضايا الوطن، والمحامي والناشط الحقوقي، وهو بصدد نشر مذكراته، وكان في القاهرة للمشاركة في مؤتمر دولي أقامته منظمة الأمم المتحدة حول العدالة الانتقالية، عتيقة معروف بوضوح أرائه وصراحته لها نعتقد أن محاورته تثري القضايا المثارة معه وتثير الجدل حولها.

ميادين // ما هو الصورة الواضحة في ذهنك لمستقبل ليبيا بعد سقوط الطاغوت بشكل عام؟

إنني نؤمن حد اليقين بالتفاؤل والمستقبل امامنا، وليس التفاؤل العاطفي بل التفاؤل المبني على قراءة جادة، أولا نحن تخلصنا من كارثة، وهي كارثة أربع عقود من الظلم وهي بالفعل كارثة بكل معني الكلمة، تخلصنا من هذا الكابوس، لقد طمس كل شيء فينا، هنالك الكثير من التشوهات، ليس على المستوى السياسي فقط، هنالك أمراض ومصائب، وهذه خطوة جيدة جداً وانتهى بطريقة يستحقها، وعلى أيدي أبناء الشعب الليبي الذي ظُلِم كثيراً، وكان هذا جزاء يستحقه. ويمكن تقسيم مرحلة ما بعد القذافي إلى مرحلتين، الأولى مرحلة المواجهة وما حصل فيها والحقيقة تُقال، نحن وجميع الناس كنا مشدودين لمتابعة المعركة ونتائجها والوصول فيها إلى هدفها المباشر، والذي ثار الناس من أجله وهو لإسقاط النظام، يعني مرحلة أسميها مرحلة إسقاط النظام، أو المطالبة والنضال في إسقاطه، والحقيقة هذه المرحلة إنني أفتخر بها وكل الشعب الليبي كذلك، ولقد كان الشعب الليبي في مستوى التحدي والمواجهة، ورد الإهانة على من أهانه، وقاوم وضحى وأعطى بكل ما لديه، بلا مبالغات، هذا ما يقول به الواقع، وأيضاً على المستوى السياسي، أدلى كثير من الرجال مواقفهم لتحمل المسئولية في ظروف صعبة، وظروف لا بد أن تحترم وتقدر، هذه الأدوار،ولقد أدوا أداء ربما نحن فيه تجاوزنا الكثير من الأخطاء، وقبلنا بكثير من القصور لأن المعركة كانت مشتعلة وساخنة، وليس هنالك وقت للحسابات، لأن العدو لازال يقتلنا، وزال يحاول

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

أبادتنا، والآن دخلنا في مرحلة ما بعد إسقاط النظام، تم إسقاط النظام والمطلب الشعبي تنفذ، كما يريد الناس وكما يستحق الطاغية، وكما يستحق الرجل الذي أستبد واهان واستغل كل مقدرات الشعب، الآن دخلنا مرحلة التقييم، كنا في مرحلة تأييد الثورة، والان وصلنا لمرحلة تقييم أي أداء سياسي، لأن أي أداء سياسي سيؤثر على مستقبل البلد والأجيال القادمة وسيرسم صورة مستقبل هذه الثورة وما قبلها بأربعين سنة وما قدم من تضحيات وما الناس من حياتهم رخيصة لأجل الوطن، لقد سجنوا وعذبوا، لقد زهرة عمرنا في خضم القهر والمعركة،وخاصة اللذين من جيلي، عمرنا بأكمله أستنفذ في هذه المعركة، الان لم هناك مجال لا للمجاملة ولا للقبول بالأخطاء تحت مبرر لا صوت يعلو فوق المعركة، المعركة المباشرة بحمد الله انتهت بنهاية هذا الرجل الطاغية، والآن بدأنا المعركة الكبرى التي يجب أن تحكمها ضوابط دقيقة، ولا بد من المحاسبة ولا بد من المحاسبة والنقد الحقيقي ولا بد من وجود نواة لمعارضة سياسية تقوم وتراقب وترى وتنتقد وتشارك وهي جزء من الكيان السياسي، نحن نعلم بأنه ليست هنالك ديمقراطية بدون معارضة بناءه وهي شريك في عملية البناء والمعارضة يدفعها دائما الحرس، الآن يجب أن نخرج من عقلية المجاملات والتمجيد لبعض الاشخاص والتشبث ببعض المواقع وبعض الشخصيات ونعيد انتاج تلك الحالة التي أفرزها القذافي في اعوانه وفي كثير من العقليات التي تقول بعدي وسيكون الطوفان، أو أن شخص معين كان غير موجود فان ليبيا سوف تنتهي، هذه الفكرة يجب القضاء عليها ويجب الانتهاء منها، العقلية يجب محاسبة كل شخص على ما يؤديه، مع إعطاء هامش للظروف الموجودة، يعني ظروف استثنائية وبارك الله في من يتحمل فيها عبء المسئولية، وهي ليست ظروف طبيعية، بدايات التأسيس للدولة الجديدة في رأي أنا تقوم على شيء أساسي رئيسي وهو إيمان نخب أو طلائع أو الناس المسكونين بالهم الوطني، بأنه لا حياة ولا مستقبل لهم ما لم يقبلوا الاختلاق وما لم يسلكوا طريق الحوار وان لم يحدث ذلك فأن أي أحد يعتقد بأنه منتصر في المعركة فهو خاسر، على صعيد البناء لابد أن تكون هنالك مشاركة والقبول بالجميع والحوار الوطني الحقيقي المبني على أسس صحيحة، والهدف إلى غايات واضحة، وليست أهداف غائمة وعائمة وانها ترف نظري وفكري، بل أنها ستكون وفق سياقات توصل الى اهداف،ولابد من احترام الاختلاف ولابد من السعي إلى بناء ذهنية عند المواطن تحرس على التجربة وكأنها جزء منها وهي التي صنعتها وتشارك فيها وتديرها إلى أبعد أداء، إلى أن تتأسس الدولة الديمقراطية الحرة وتحقق الرفاة الاجتماعي وتحقق الاهداف المرجوة من الثورة.

ميادين // ماهي اولويات التي نهدف اليها في الوقت الراهن؟

الاولويات حالياً انا أري أننا على مشارف تكوين المؤتمر الوطني، حسب الاعلان الدستوري الذي أصدرناه وسوف نلتزم به امام الشعب الليبي،وهو الذي فوض المجلس الوطني الانتقالي، ونحن على اعتاب انتخابات، أول انتخابات في ليبيا تجرى بعد عقود من الظلم الاستبداد، يعني انتخابات لمجلس ومؤتمر وطني، وهذا المؤتمر الوطني هو بمثابة المؤسسين اللذين سوف يختارهم الشعب كي

يؤسسوا الدولة من الناحية الدستورية والقانونية والإدارية وسوف يضعوا القواعد الصحيحة حسب الدستور، الآن أنا أري الاولوية يجب أن تُعطى لهذه المهمة القادمة، وأن النخب والفاعلين الاجتماعيين وكافة نشطاء المجتمع المدني ومن يهتمون بمستقبل ليبيا عليهم دور أكبر من غيرهم، دور توعوي، دور يفهمون الناس أن هذه المرحلة خطيرة، لأنني الاحظ الآن الاهتمام غير منصرف لهذا الموضوع، لازلنا كيف عبدالرحيم الكيب سيشكل حكومة من 24 وزير، من الذي سيكون وزير كذا وكذا، وبعض التشريعات الصغيرة وإهمال ما كان أهم وهو البناء الصحيح بعد ثمانية أشهر، إلا إذا كان في بعض أذهان الناس أن هذه الحالة مستمرة وأن من يستحوذ على مكان ربما مع التقادم ستكون الملكية له على رأي القانون المدني، وسيكسب موقع ويستمر فيه، ولا يوجد في ذهنه البناء المؤسسي الدستوري وربما خارج عن تكوينه وتفكيره وعقليته وذهنيته وإلا لا بد من شعور والإعداد لهذا، هذا من الناحية السياسية، الناحية الأخرى وهي الفكرية والإعلامية يجب ان يشارك الجميع في محاولة خلق ذهنية جديدة، ذهنية عند المواطن حتى عندما يبدأ البناء الدستوري على سبيل المثال يشعر بأن هذا الأمر خاص به، وأن هذا الدستور سوف يحمي مصالحه ويصون كرامته ويحمي بيته، وإن هذا الدستور يعطيه حقه في التعبير ويعطيه جملة من الحقوق، وإن أي اعتداء على هذا الدستور هو اعتداء شخصي عليه، وكل الالويات تعتمد على الانتخابات، يجب علينا أن نختار الناس التي لديها كفاءة عالية، والتي لديها القدرة على تحمل مسئولية تاريخية، ربما غير مسبوقة في ظروف صعبه ولابد من الانتباه أن نعد الناس لمشروع الانتخابات بشكل جيد ومدروس وكيف إن الانتخابات سوف تتم، وتوزيع المناطق والحكم المحلي فيها، أو التقسيم المحلي كما نقول، والإداري كيف نضبطه، وعدد السكان طبعاً هذا من الناحية الاجرائية.

ميادين // هنالك من يقول يجب اعداد مذكرة لموضوع الانتخابات، فهل هذا واجب العمل به؟

نعم.. وانا لي الشرف أن اقتربت من هذه المبادرة وهذا كله من مكونات المجتمع المدني، لرفع مذكرة للمجلس الانتقالي والاصرار على ضرورة إشراك المجتمع المدني وبعض الكفاءات ذات القدرة على المساهمة الفعلية في هذا الموضوع، لا بد من اشراكهم، وعدم الاكتفاء بأن هذا الطلب قد يقبل وقد يرفض،إذا رُفِضَ فلا بد من وجود آلية لأن دافعه هو الحرس على الوطن، والحرس على الوطن لا يختلف عليه أي عضو في المجلس الانتقالي، ربما الصدفة وحدها هي التي قدرت ان يكون في هذا الموقع أو الظرف التاريخي، أو شخص آخر في الشارع حريص على هذه المصالح الوطنية، التي نتمنى ان لا تضيع وسط التيارات ووسط هذا الخضم الخطير، أصبحنا في ظروف دولية وإقليمية، كأنها رمال متحركة، لا بد أن ننتبه، وهذه المذكرة التي تحدثت عنها جاهزة الآن، سوف نتوجه بها للمجلس الانتقالي لاختيار مجموعة أو عرض مجموعة من الخبرات ومن الكفاءات والقدرات البشرية التي تتولى فنياً، من ناحية الضبط القانوني وصياغته، من ناحية المضامين التي يعتمد عليها قانون الانتخابات وتقدم إلى المؤتمر الوطني، أن تجربتنا مع الإعلام الدستوري في الحقيقة فيها الكثير

من خيبة الأمل، الإعلام الدستوري تم صياغته عن طريق المكتب القانوني للمجلس الانتقالي، مع احترامي لمن هم فيه، فانا لا أعرف من هم، لكن ليس في المستوى المطلوب منه، وليس في مستوى ما أنجز ولا يتناسب مع طبيعة الوثيقة، فجاء الإعلان الدستوري على ما جاء عليه، وأنا أخشى أن يتم نفس الشيء، قانون انتخابات يتم بهذه الطريقة الغير مدروسة.

ميادين // المذكرة التي أنجزها المجتمع المدني، هل هنالك متابعة جادة واستمرار فعلي للمتابعة، أم أن الموضوع أنتهى بانتهاء تسليم المذكرة، ولديك علم بأن هنالك الكثير من المذكرات قد قدمت وتم دفنها في ملفات المجلس الوطني الانتقالي؟

هذا ما كنت أقصده أنا، ستكون مكونات هذا الجسم المجتمعي النواه، ستكون خلفه متابعة هذا الأمر بكافة الوسائل، نحن نأمل أولاً أن المجلس الانتقالي، وهذا ما أثرته مع بعض أعضاء المجلس الانتقالي واللذين تربطني بهم علاقة شخصية، لقد وجدت ترحيب لأن فيها أيضاً اشراك في المسئولية، لا أعتقد أن هناك مُبرر منطقي وموضوعي يجعل المجلس الوطني الانتقالي يرفض، ليس هنالك أي مبرر، الناس تريد أن تساعد وهذا حقهم، المسألة هنا ليست شكلية أن هذا الشخص عنده قرار وهذا لا يملك، المسألة هنا مصيرية، وهذا حق أي مواطن ليبي وخاصة النخبة التي لديها القدرة على أن تشارك مشاركة حقيقية، وتصوغ صياغة صحيحة، وتقدم ضمانات، وفي النهاية المجلس الوطني الانتقالي هو الذي سيصدر القانون، وله الحق في المناقشة والمراجعة.

ميادين // المذكرة تطالب بأن تكون لجنة لأعداد قانون الانتخابات، وهذه اللجنة تكون من جميع فعاليات المجتمع المختلفة، سواء كانوا جمعيات المجتمع المدني، سواء كانوا جامعات أو أفراد لهم علاقة بهذا الموضوع، أليس هذا ما تنص عليه المذكرة؟

نعم..بكل تأكيد هنالك من لهم صفة متميزة في المجتمع، أساتذة الجامعات، والمحاميين، والقضاة، والسياسيين، ورجال الأعلام، من كل هؤلاء تكون لجنة الانتخابات وبوقت قصير، وحينما نُعدُ قانون الانتخابات، من المفترض أن نكون لجنة تشرف على هذه الانتخابات، وقتها تلقائياً قانون الانتخابات سيحدد هذه الألية، سيحدد كيف تكون الانتخابات وكيف تعمل وماهي مهامها، أن الوارد هنا في الإعلان الدستوري هو عبارة عن يجرى انتخاب المؤتمر الوطني من 200 عضو،(والسلام عليكم) كيف يتم؟ ماهي الألية؟ بكل تأكيد هذه تتطلب أن ينظمها قانون، والقانون هذا هو انتخاب 200 عضو، لأن القانون الأخر من الانتخابات سوف يعده المؤتمر الوطني، وحكاية انتخابات 200 عضو جاء الاعلان الدستوري خالي من أي شيء إلا أنهم منتخبين، ولقد حُدِدَ العدد، كيف؟؟ هذا هو دور قانون الانتخابات في المؤتمر الوطني، وحكاية القبول والرفض على عدد 200 عضو مسألة غير ذات اشكالية، بالنسبة لعدد السكان يعني نسبة مناسبة، لكننا دائما نرغب بالقانون الذي إلى انتخاب 200 عضو، إلى تشكيل المؤتمر الوطني،

اللحظة الآن إلى أن يُشكل، ما هو القانون؟؟ في الدوائر ما هي كيفية الانتخاب؟؟وفي المناطق ما هي كيفية الانتخاب؟؟ يعني ما هي الإجراءات القانونية التي تؤدي إلى تشكيل هذا الجسم السياسي الذي هو أخطر واهم جسم سياسي في تاريخ ليبيا حسب رأي، وستكون عليه مسؤوليات غير مسبوقة في التاريخ السياسي الليبي على الإطلاق، وعلى هذا الاساس يجب إشراك الناس، يجب أن لا تترك للصدفة ولا للنوايا الطيبة، ويجب على الناس أن يكون لهم دور فعال ومهم في هذا الأمر، بما معنى لا ننتظر المجلس الوطني الانتقالي ان يأذن له بالمشاركة من عدمها، بالفعل هذا حق ولابد أن يناضل الجميع في سبيل انتزاعه، ولا أظن وأكرر ولا أعتقد بأن المجلس الوطني الانتقالي سيمانع لأن هذا حق كل مواطن ولا يقدر أي أحد أن ينزعه منه، وخاصة أن الهدف الأساسي هو لا احتلال مراكز ولا وظائف ولا مناصب، أنت تريد أن تساهم في بناء تأسيس لبلد الآن مُقبل على مرحلة جديدة وهذا الأمر واجب علينا جميعاً، وهذا هو الأساس وأنها من ضمن الالويات، وبكل أسف أنا أري وفي هذا الوقت أن الربكة قوية، بما معنى أن هنالك الكثير من الناس لم تستوعب بعد ما هي مرحلة الانتقال، وليس لديهم قدرة على تصديق ذلك،أتدري بأنني سمعت بعض التعليقات، حينما اناقش مرحلة الانتقال أنها ضرورة، يقول البعض أنها لعبة، مثل نوري المالكي في العراق، بما معنى أن من يترأس هذا المنصب لا يمكن ان يتركه لغيره، وهنالك من اخرج حلقة اذاعية أظهر فيها المستشار مصطفي عبدالجليل وقد ظهرت لحيته ويتسند على عكاز ويقول..مازال هنالك ثلاث سنوات ونستكمل المرحلة الانتقالية..، ربما هي خشية البعض وتخوفهم ولكنني واثق بأنها لن تحدث في ليبيا، ولكننا يجب ان نعمل بكل جهدنا بان لا تحدث، لأن وقوعها كارثة كُبرى، لأن وضع الثورة الليبية لا يسمح بهذا، لآن حدوثها مستحيل، وانا عندي يقين بهذا الأمر، لكن على الأقل، خذ مثل تشكيل الحكومة، استمرت 5 شهور وهي تتشكل، حالما حُل المكتب التنفيذي وإلى الآن، يعني تم حل المجلس التنفيذي وبعدها بخمس شهور أخرى رُدَ، ثم تم تسريب قائمة بعدد 32 وزير لحكومة محمود جبريل وثم حصل ما حصل، المخاض في نهاية الأمر أنجب لا شيء، أو بما معني أن المسئول الحالي رئيس الوزراء مازال يتحدث عن مشاريع إعمار وعن معالجة المشاكل الآنية، وعن السياسية الخارجية، ومعنى السياسية الخارجية يتكلم عنها وكأن هذه الوزارة.

ميادين // بكل تأكيد الاولوية الاساسية لمسالة الانتخابات، ومطلوب مننا جميعاً أن نعمل من أجل انجاح الانتخابات، طبعاً هذه بالدرجة الأولى، الآن يتحدثون عن عملية الإعمار وإقامة المشاريع، مما يجعلك تشعر أن هنالك إشكالية قائمة وكأنهم يريدون أن يشتروا الشعب الليبي، بهذا القليل من الكلام الذي لا يقيم دولة المستقبل التي نسعى من أجلها؟

في الحقيقة أن هنالك أمر في غاية الخطورة، أنت لمست الآن نقطة مهمة، هي حكاية الوعود التي كان يتبعها النظام السابق، كانت دائماً وعود كبيرة، على سبيل المثال (في سبتمبر القادم، وأيضاً

وعود سيف الإسلام القذافي مازلنا نذكرها، وخطاباته مع الشباب، غداً سيكون لكل منكم جهاز حاسوب، وستكون كل الصحف معروضة في الاكشاك،) أسلوب الوعود أسلوب خطير، لماذا؟؟ لأن الشعب الليبي بكل ما قدم عملياً على استعداد ان يتحمل المسئولية كاملة، على استعداد ان يصبر، وعلى استعداد ان يكون في مستوى التحدي، ولكن بشرط أن تكون معه شفاف، وصادق، وان يكون شريك لك في تحمل المسئولية، أما إذا انتهجت أسلوب الوعود، وستعمل حكومتي، يعني أنت الآن فشلت بكل المقاييس، فعلاً حقبة سيئة وأداء سيء، وسيكون رد الفعل الان عنيف جداً، وسعب جداً، وستفقد المصداقية، وهذا بالفعل حصل، لآن هنالك من يرى بأن سياسة الوعود هي عقلية الوصاية على الناس، هذه الصفة لا زالت موجودة وبقوة عند البعض، وأن الشعب الليبي سيصمت حينما تسمعه كلمتين وتمضى، الناس الان ليسوا اللذين كانوا فيما مضى، ليسوا بمعنى تغيروا، ولكن تجربتهم القاسية انضجتهم، لأنهم اعطوا الكثير من أجل الوطن، لقد قدموا أرواحهم وابنائهم وممتلكاتهم، لقد واجهوا حرب شرسة لم يسبق لها مثيل، اليوم أنت قد يؤمن بحديثك في وعد أو أثنين أو ثلاثة، ولكن عندما يكتشف أنك تشوه وأنك تقول ما لا تستطيع فعلاً، ولكن لو تحدثت معه بكل صدق وشفافية وصراحة، أنا لا أعطيك وعود ولا أعطيك أماني، نحن اشتركنا في المعركة الأولى معركة السلاح والدم، ونحن أيضاً شركاء في معركة البناء، وعليك أن تتحمل يا مواطن ياليبي معنا المسئولية، وفعلاً سيكون على قدر المسئولية، لأن الليبيين فيهم ميزة، إذا خاطبت عقله وأثرت فيه الذات الفاعلة، الذات الحقيقية، يتجاوب معك ولا يتهاون، ولكن إذا كذبت عليه وأدخلته في متاهة الوعود البراقة، سنعمل على كذا وكذا، بكل أسف هذا لا يصح.

ميادين // ما رأيك بالخطاب الأيدولوجي، الذي يعطل في القوانين ويبشر الناس في شريعة كذا، وهدم شريعة أخرى؟

في الحقيقة أرجعه إلى القصور، قصور في عملية الوعي للمسألة، وقصور في استيعاب حتى ما يقول، ونتائج ما يقول، وهو ما يعبر عنه بإلقاء الكلام على عواهنه، وهذه موجودة عند الذهنية العربية، أحياناً يقول كلمة ولا يعني ولا يستوعب أبعادها، وخطورتها، فأنا أعتقد أن هنالك شخص يقول سأعطل القوانين، وأُفعِلُ القوانين، وان الشريعة الاسلامية!!! أي شريعة تتحدث عنها؟؟!! ما هي الشريعة الاسلامية؟؟ الشريعة الاسلامية في مجملها فقه واجتهاد بشري، هي تأويل وليس تنزيل، نحن الكتاب المؤسس هو القرآن، هذا تنزيل، وفيه القواعد المعروفة وحتى القرآن في تفاسيره في مساره وفي سيرته التفسيرية عند العلماء، يعني هذا هكذا والأخر يرى هكذا، هذا القرآن المقدس، فما بالك بالشريعة،والتي عبارة عن تراكم فقهي، عبارة عن أراء وعن اجتهادات، مثل اجتهادات الفقه القانوني، والتقاء القوانين حول القوانين والشروح حولها، حول استنباط الاحكام منها، واستنباط التفاسير، فهي في النهاية هو أرث بشري، جهد بشري يعتريه النقص، ويعتريه الاختلاف ويعتريه ايضاً لا يمكن اخراجه من التاريخ.

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

مجلة المقتطف

دردشــة

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

ميادين // وبالتالي الذي يتحدث عن هذا، لا يملك الحق في توقيف قوانين أو اصدار قوانين؟

كما أوضحت لك،لا يمكن، الذي يتحدث بهذه العقلية، هو ضحية قصور، لا أكثر، أنا لا أعتبر أن هذه الفكرة مبرمجة أيدولوجياً لخدمة أيدولوجيا معينة، ولكنها من قبيل أي فكرة، وأيضاً يوزعنا الي موضوع الترضية باعتبار أن مسألة الدين والشريعة والإسلام في ليبيا مسألة لا يمكن شراؤها، وان حدث فأنها عملة مزيفة، لا يمكن أن أقول سأعطل قانون في خارج الأطر الصحيحة للتعديل، أولاً القانون لا يُعطل إلا في حالة الحكم العرفي، أما أن يُلغي أو يكون نافذاً أو يُعدل، هذه القاعدة الاساسية،لكن التعطيل في حالة الأحكام العرفية تكون محددة بمدة معينة ولظروف معينة قد تُعطل بعض القوانين، لا تُلغى ولكن تبقى، واعتقد أننا لسنا في حالة أحكام عرفية ولا يمكن ان نصلها، الأحكام العرفية معروفة شروطها، حكاية التعطيل للقانون هذه تعبير لا يقصد الضبط القانوني ن أنه أمر مضحك لا أكثر، ونحن الآن لسنا في مرحلته كما أشرنا سابقاً بعد ثمانية أشهر مُقبلين على انتخابات، عندنا قضايا أهم، وهنا نعول على الذهنية الخطيرة التي تتعامل مع المرحلة الانتقالية كأنها مرحلة أبدية، وأحياناً الإنسان ما لم تَضع ضوابط والناس تقول والناس تحس، أحياناً يبدو أن هنالك شيء أسمه وهم السلطة، أحياناً السلطة لا تكون حقيقية، ولكن تخلق، أنه وهم ينعكس على الذات على التصرفات وحتى الوضع الذهني والنفسي، يعتقد بأنه يملك هذا الأمر وفي هنالك ترضيه هذه الحشود التي تهتف والموجود في ميدان معين، سيكولوجية الجماهير يبدو انه لم يدرسها ويفهمها بشكل صحيح، ويعتقد أنها كلها مُجيرة لصالحه، وهذا الوضع بشرياً موجود وهكذا خُلِق الطُغاة، أنهم لا يفهمون سوى ذهنية الحشد، التهليل ليس لشخص مُعين بحد ذاته، وانما هي تعبير عن حالة،ربما استلهموا فيك رمزاً لها او مؤثراً لمعنى من معانيها، مثلما جبروت فرعون، لم تُقل له..كفى..هنا قف.. لكننا كشعب ليبي انجزنا الكثير من المشاريع على المستوى السياسي والمستوى النضالي وحققنا مشروعاً عظيماً مثل المجلس الوطني الانتقالي ومثل المجلس التنفيذي، أعتقد أنها إنجازات، وموضوع الانتخابات ستكون مهمة من مهام الشعب الليبي الناجحة والذي بعزيمته أنجز هذه المشاريع والمهمة في اللحظات الاستثنائية،أعتقد أن البناء في ظل الديمقراطية وفي ظل الوضع المستقر أو الوضع المتجهة نحو الديمقراطية، أصعب من التكوين في ظل المعركة، في ظل المواجهة، بما معني أن المجلس الوطني الانتقالي والمجلس التنفيذي لقد تكون في ظل المواجهة، عندما كان الليبي يرى شخصاً يتحدث في التلفزيون ويشتم القذافي، يفرح ويراه شيئاً كبيراً، وان هذا الرجل في طريقه إلى التداعي والسقوط، مجرد خروج أشخاص فرضوا أنفسهم كنجوم على المجتمع الليبي، لمجرد أنه كان ...، وبالفعل كانوا الناس يقبلوها ويقدروها عالياً، لكن الآن المرحلة اختلفت، الآن حينما يظهر شخص يشتم القذافي في التلفزيون، وهذا الجرذ وهذا الثعلب، الناس ملتها، الناس تريد أن تسأل أسئلة أخرى، الواقع طرحها وفرضها عليه، الواقع طرح أسئلة أخرى، وانا اعتبرها انجاز من رحم المعركة ومن رحم المواجهة، ظهر المجلس التنفيذي وحسب

علمي وحسب متابعتي أنه كان فكرة انبثقت من تصريح للمفكر عزمي بشارة حينما كان يتحدث عن الثورة الليبية، فقال.. يجب على الأخوة في ليبيا أن يفكروا في تشكيل جسم سياسي، بعدها مباشرة وإذا كان هنالك خلفيات أخرى لا أعلمها، هنالك من يقول أنها مبادرة من دولة .... وقتها تكون المجلس الوطني الانتقالي.

السنة الـ11

العدد: 77

مارس / ربيع 2012

الأديب محمد العريشية:

بالنسبة للقارئ فإني لست جشعا إذ أكتفي بقلة هائلة!

سرت ... ماذا بعد؟

حاورته: هند علي

نحتفي بأديب قادم من قرية كانت الحكايات الممزوجة بالخرافة والأسطورة حرفة سكانها الأولي. قرية شوّهتها مدنية مزيفة، حاول خلالها بشكل أو بآخر كسر هذه العزلة بالكتابة.



لقد حاكت أعمال الأديب الليبي محمد العريشية الفترات التاريخية وتأثيرها علي المكان والإنسان وأظهر نتاجه الأدبي واقعية سحرية. منذ أن أصبح كاتبا توجه إلي كتابة السيناريو، حتى وأن كانت لا توجد سينما فعلية في ليبيا، تخدم العمل الروائي، محاولاً لفت انتباه القارئ إلي الزاوية التي ينظر من خلالها إلي وقائع الأشياء.

ما يزال العريشية من تلك الفئة من الناس التي تقيم وزنا للقناعات والأفكار لأن أغلب أوقاته بين الكتب، ويدرك بان المجتمع الليبي متزمت لا يتقبل اختلاف الأخر. لكنه يؤمن بالمرأة فهي كما يصفها " بمثابة نبي يقودنا من الخشونة والكثافة إلي شفافية تشفّ عن جماليات الحياة،. المرأة بمثابة كوة أو نافذة في الجدار الذكوري يحاول الرجل النظر من خلالها إلي نسغ الحياة ".

أنه ليس ممن يجملون القبح وهذا ما جعل المؤسسات الثقافية تعامله كما لو أنه ليس ليبياً. فالمثقف العربي كما يجده محمد كان يحلم بتغيير الكون عاجزا اليوم تماما عن تغيير واقعه اليومي الملغز الغامض والمعقد الذي تتلاعب به مصالح سياسية متقلبة.

للأفكار حياتها وسفرها الجميل عند الروائي والقاص والشاعر محمد العريشية حتى أن مهمة الكاتب من جهته " ان يكتب بشكل جيد وبالنسبة للقارئ فإني لست جشعا إذ أكتفي بقلة هائلة" ويرى أن الليبي ليس سلعة بائرة حتي يروج له بشكل فجّ وقبيح ومخل بالثقافة الليبية، إذ لدينا أسماء مهمة لم يتح للقارئ العربي أن يطلع عليها.

مجلة المقتطف

دردشـة

السنة الـ11

العدد: 77

مارس / ربيع 2012

وفي حوار سابق تحدث فيه العريشية عن مصطلح الأصلاح الذي وصفه أثناء عهد القذافي بأنه " مجرد كلمات فارغة من المحتوي أو كليشيهات" وأضاف " إن صوت الاصلاح الحقيقي يقول أن القناع الذي يختبئ خلفه الفساد سيقع، عاجلا أم آجلا سيقع. إن الاصلاح لا يمنح كهبة للشعوب وفي هذه الحالة ستشوبه الانتقائية أي تتعمد السلطات انتقاء ما يلائمها وتبطل مفعول الجهود الاصلاحية الرامية إلي خدمة الناس، الاصلاح الحقيقي هو صوت الشعوب وحراكها المدني، وما لم يكن الاصلاح ثمرة المجتمع المدني ومؤسساته سنحتاج إلي معجزات لاصلاح الاصلاح "

أما فلسفة قراءة المستقبل لدي المفكر محمد العريشية هي أن " العا لم يتحدث عن السلام دون الحديث عن القوي الخفية التي تسعي دائما إلي تقويض العدل والسلام بشكل كارثي، وأن حقوق الانسان لا تنادي بها إلا أصوات ضعيفة وهشة ومخنوقة، والحكومات العربية لا تتوقف هي الأخري وبشكل مضحك عن الحديث عن الحريات العامة وتوزيع الثروات لكنها في الحقيقة تقوم بتوزيع القمع والتهميش بالمجان علي شعوبها "

وفي الأحداث التي شهدتها ليبيا خلال ثورة فبراير من العام 2011 لم يتوقع محمد أن الحرب ستأتي إلى بيته، وان تتحول منطقته "الزعفران" إلى ساحة حرب ويصف ذلك قائلاً " فجأة تجد ركنك المألوف وقد تحول لجبهة ملتهبة، يحترق بيتك، وتتحول واجهته لجدارية كبيرة لأثار الرصاص، وتضيع قيمة الإنسان، ويصبح مجرد هدف متحرك للرصاص الحي " كمواطن ليبي عايش الحالة وصنفها برؤية فنان تحمل الجانب الحقيقي والأسطوري وانتهى إلى إيمانه العميق بالثورة والتغيير موثقاً فى ذاكرته " الأماكن الجريحة التي التهمت الوجوه العزيزة، وقد غادرت الحياة وهي تحلم بأن تستمرئ الحرية بعد سنوات طويلة من الظلم والديكتاتورية "

ويستيقظ الكاتب من هول صدمة الحقيقة ليقل بكل وعي عبر فسحة هذا اللقاء بميادين الأتي .....

- **الأحداث الليبية ....**

اعتقد ان أي نظام سياسي عندما يكون متصلبا لا يتحرك وعندما تعوزه أو بالأصح عندما يفتقر إلى المرونة الكافية وعندما يعمل بدأب وكد على كبت حرية التعبير فإنه من المحتم أن يؤدي هذا إلى السخط العام ثم إلى الغليان وبعد ذلك إلى الثورة، وما من ثورة تحدث في أي مجتمع من المجتمعات إلا إذا كان النظام السياسي يقف متعنتا كعقبة أمام التغيير الذي تصبو إليه قطاعات واسعة من الشعب، ولا يمكن لهذا النظام أن يكون عقبة أمام التغيير إلا إذا كان شكله بعيدا كل البعد عن التكيف مع المجتمع الذي يفترض أنه وصل إلى السلطة لكي يخدمه. أعتقد أن هذا ما

حدث في ليبيا بالفعل، فقد كان نظام العقيد القذافي بعيدا عن الشعب وعندما اندلعت شرارة الثورة قام باتباع متعمد وممنهج لسياسات قمعية ضد شعبه ساهمت هذه السياسات الاستبدادية في انهيار حكمه وقتله..

• **ليبيا الجديدة ....**

إننا نحتاج إلى من يساعد الشعب الليبي لحل مشاكله التي تزداد تفاقما يوما بعد يوم نتيجة الحرب الطويلة التي دارت بين كتائب القذافي وقوات المجلس الوطني في أكثر من مكان وفي أكثر من موقع وفي أكثر من مدينة، ومن خلال هذا الحوار أريد لفت انتباه النخبة السياسية إلى أن ليبيا تنادي الجميع من اجل تكاثف الجهود حتى يمكننا بلورة إرادة سياسية وطنية جريئة وواعية لأننا بالفعل نتطلع إلى رؤية جديدة ومعايير مختلفة مغايرة حول كيفية التغلب على مخلفات الحرب من دمار في النفوس والمدن، إننا نتوق إلى رؤية واضحة حتى نتمكن من تهيئة المناخ الملائم لفتح حوار وطني جاد وصريح بين كل أطياف المجتمع الليبي حتى يتأتى لنا لم شمل الشعب على قلب واحد وتضميد الجراح التي نزفت والأخرى التي ما تزال تنزف بسبب الحرب، وأن نقوم بترتيب البيت الليبي الداخلي كي نستطيع الوصول بعد ذلك إلى الاستقرار المنشود، وان نعمل معا على تعزيز الحرية والعدالة وتوفير السلم والأمن والرفاهية لكل الليبيين وتمكينهم من النظر بطمأنينة إلى مستقبلهم. إننا في حاجة ماسة ودون تأخير إلى نظرة جديدة وكذلك إلى إدراك متطلبات الحاضر والمستقبل بوضوح، إننا في أشد ما نكون إلى عمل سياسي نزيه نظيف شريف وواقعي مزود ومدعم بالمعرفة المعاصرة وإلى برامج واقعية ومشاريع تفتح آفاقا جديدة بعد سنوات طوال من الإرتجال السياسي والعبث العشوائي.

• **سرت ... ماذا بعد؟**

إن سرت الآن صارت جسما سلخ جلده، كالآثار كالأطلال، إنها الآن مدمرة وهادئة،، موحشة تجابه وضعا يلتحف بالغبار والظلام، إنها المرة الرابعة التي تدمر فيها سرت، ثلاث مرات في تاريخها الطويل وهذه المرة كالكارثة أو أنها كارثة في حد ذاتها ولكن الذى نسعى إليه أن لا يتحول هذا الدمار المخيف إلى قمح في طاحونة أولئك الذين يستمتعون بالحط من قدر الثورة، أولئك الذين لا يملكون من محيط الإنسانية والحرية والعدالة إلا القليل من الزبد. وما أريد أن أؤكد عليه هنا أن عودة سرت والمدن المتضررة الأخرى إلى وضعها الطبيعي هو الضمان لعودة ليبيا في نصابها الصحيح، وأتحدث هنا عن سرت لأنها المدينة التي تكبدت النصيب الأكبر من الدمار والخراب والجهود التي يجب أن تبذل لإعادة أعمار سرت يجب أن تكون مضاعفة لأن النهوض بسرت هو المحك الحقيقي لنهضة ليبيا الحرة، وهو المحك الحقيقي لنجاح الحكومة المؤقتة.. أو على الأقل لمعرفة الجهة التي تشير اليها بوصلة الحكومة المؤقتة، لأننا الآن في عصر جديد حيث يفترض ان تطوى والى الابد صفحة الاقصاء والتهميش ومحاباة مدينة عن اخرى التي كانت سائدة في العهد السابق،

ونأمل ان يكون رئيس الحكومة المؤقت يملك من القوة المؤقتة والقدرة الكافية ما يمكن حكومته من وضع يدها على مكامن داء الخراب الذي سببته الحرب ونأمل ان لا يعود الى المجهول الذي جاء منه فجأة وهو لم يحقق ولو النزر اليسير من تطلعات الشعب الليبي..

- **رؤية المستقبل ......**

الشعب الليبي شأنه شان الشعوب الأخرى التي ناضلت من أجل الحرية والعدالة والكرامة والديمقراطية ولكن هناك الكثير من المخاوف التي قد تعترض طريق التحول الديمقراطي في ليبيا وهي أن الديمقراطية لا تولد بين ليلة وضحاها وأن الشعب الليبي الذي رزح طويلا تحت نير الدكتاتورية وعاشها وتنفسها وتأثر بها لسنوات طويلة لن يكون شعباً ديمقراطياً هكذا فجأة بمجرد أنه قام بإسقاط الديكتاتور، الديمقراطية ليست كالخروج من غرفة ودخول أخرى. أنها تحتاج الكثير من الجهد والعمل والتأهيل والتجهيز ولاسيما في مجتمع مثل المجتمع الليبي الذي يحتاج إلى محو أميته السياسية.

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

البرفسور سعاد الوحيدي:

كان يوجعني فقط عبارات أسمعها من وقت لآخر أنتم إخترتم هذا، لا أحد يختار الغياب عن الوطن

حاورتها: فاطمة غندور

البرفسور سعاد الوحيدي الباحثة بمركز دراسات الشرق المعاصر بباريس،عرفتها من خلال تواجدها الإعلامي عبر إطلالتها كضيفة متحدثة ببعض الفضائيات، ثم عرفتها من خلال بعض الاصدقاء من المثقفين بمشهدنا، تواصلت معها هاتفيا بتونس أثناء عملها المؤسسي الوطني والانساني مع النازحين والنازحات من الغرب الليبي أثناء ثورة 17 فبراير، حين التقيتها لاول مرة وهي تدخل منتصرة بمدينتها المحررة طرابلس،هالني صمتها تجاه هكذا مشهد بُعيد ثلاثين سنة من الاغتراب القسري، كانت عيناها مُعلقة بوجوه أناس طرابلس، لم أشأ قطع حبل فُرجتها ودهشتها لكنها بادرتني بإجابة لسؤال أخفيته عنها واستشعرته بحسها: الاحساس بالحرية،الحرية في عيون الناس واضحة، الاحساس بأن تكون انت كما أنت، لست خائفا من أحد، تركتها طرابلس مدينتي الحبيبة تركتها خائفة، خائفة من ظله(تقصد الطاغية)،جئت وجدتها عروس،أجمل عروس في أجمل حالاتها في الواقع تجربة لا تخضع لأي مفردات،الآن صوتي يا فاطمة يضطرب،تجربة وجودية خاصة بكل تفاصيلها، لحظة خروجي كان هناك الوجع والألم،الرفض للمغادرة القطيعة مع الوطن،جيل كامل ولد ونشأ وعاش ترعرع أو مات وأنا غائبة، كان يوجعني فقط عبارات أسمعها من وقت لأخر: أنتم إخترتم هذا، لا أحد يختار الغياب عن الوطن، أنا الان من فرنسا كما ذكرت، قبلنا كانت هناك تجربة خاصة عاشوها و عبرعنها المهاجرون الروس المغتربين، نحتوا كلمة في اللغة الفرنسية ودخلت للتعبير العالمي، هي مصطلح النوستالوجيا الحنين للوطن، كانوا يسقطون كالرطب كأوراق الخريف يموتون في الشوراع ينقلونهم للشوارع في الرمق الأخير، يموتون من الحنين للوطن، فكلمة نوستالجي نفسها الإحساس والشوق للوطن لا يمكن وصفه بكلمة، كان عندي إحساس يوم في الوطن هو بالعمر،العودة الان للوطن انتصار من خلال الثورة، انتصار بالرفض، انتصار من خلال المقاومة،العودة للوطن في حد ذاته يكفي لا أعتقد أن لدي أي طموح آخر،أنا مكتفية بهذا النصر.

كيف كان خيط الوصل بينك وبين هذا الوطن ليبيا خلال سنوات الاغتراب؟

من خلال هذا الانتماء من خلال كل خياراتي البحثية والوجودية والنضالية، وهو انتصار بالوطن بدون أن يكون هناك قطيعة حقيقية إلا من خلال عالاقة المكان بالمكان أو الجسد بالمكان..اتركي عنك حالتي، سأتحدث عن موضوعي وشاغلي الان،ذلك الحديث اعتبره الان ترفا فكرياً، انا مجرد همزة لامعنى لها في سطور الثورة.

كما ترغبين، سندخل الى مجال عملك الان في هذه الثورة، اهتمامك بموضوع المرأة الليبية من خلال الملتقى الوطني للمرأة الليبية، والمُتعلق بقضية الاغتصاب المبرمج الممنهج من قبل الطاغية وكتائبه.

شكرا لك،هناك الحاجة للتأكيد على بشاعة جريمة هذا النظام ضد شعبه، لنقل علاقة كل الليبين والمعارضين الذين انضموا الى صفوف الثورة، نحن الليبيون في فرنسا من اليوم الأول وأعقبه الثاني للثورة ومن خلال أليات التواصل عبر شبكة التواصل الاجتماعي كنا على موعد مع هذا الحدث التاريخي ولكن لم نكن نتصور ما حدث، كنا نتصورأن تَوجه الشباب الى مظاهرات سلمية،سيحسم انتصار الثورة كما حصل في تونس ومصر، فوجئنا بأن النظام لم يوجه الرصاص الحي فقط حين أحال الثورة من سلمية الى مواجهة مسلحة وبهذه السرعة واجه نضال الشباب السلمي الى مواجهة مسلحة، جعلت من الثوار المنتفضين يواجهون سلاحه المريع بإمكاناتهم البسيطة من خلال أخذ سلاحهم الذي أذخر لسنين لقمعهم وقتلهم.وسأتحدث عن صورة من صور بشاعة مواجهة هذا النظام الطاغي لثورة شعبه ويهمني الحديث عنه الان:

اللحظة التي تركت فيها باريس نحو تونس أنا وزميلات اخريات تحت إطار وطني هو التجمع الوطني للمرأة الليبية، وكان أول لقاء لنا لتأسيس هذا الملتقى الخاص بالفرنسين مع المجموعات الاخرى في مناطق العالم، لاحظنا أنه ما ترتب عن مواجهات الرفض مع النظام، حالة نزوح غير مسبق بالنسبة للمناطق الغربية نحو تونس أو الحدود القريبة من الوطن بشكل عام ابتداء من معبر وازن ذهيبة وحتى الشمال ومدن اخرى بالداخل على المسافة الحدودية، انا وصلت نهايات فبراير، وسأتوقف عند نقطة مهمة عن هذا النزوح الذي سجل رقم غير مسبق في تاريخ النزوح فيما تعلق بعدد النساء من ضمن العدد الاجمالي للنزوح ثمانين في المئة من النازحين نساء وأطفال، أمام ما نعرفه من كوارث طبيعية والفواجع والحروب والمصادمات واشكال العنف الذي يصيب الانسان،تنزح العائلات، ينزح الانسان ولنقل الانسان بالمعنى الواسع للكلمة، رجال ونساء مشمولين، قلما نبحث عن عدد اوتميز عن من ينزح، تنزح الجموع الجائعة أو المرعوبة ولكن هنا لمسنا نزوحا غير مسبق لم تسجله أي من الكوارث الانسانية السابقة في تاريخ البشرية بهذا العدد

مجلة المقتطف

دردشــة

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

مجلة المقتطف

دردشــة

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

من النساء،يلفت النظر،نتوقف أمامه بالتحليل ماهي أسباب ذلك؟ ولا نحتاج الى ذكاء شديد انه في مسألة تمس النساء من جهة ومن جهة أخرى أننا عندما تأملنا طبيعة الطلبات التي كانت تصلنا لتغطية حاجات هذا النزوح،رغم أن الطلبات لا يوازيها طلبات تخص النساء، أقصد رغم هذا العدد لا يواكبه تميز لما يسد الحاجة النسوية، فلفت نظرنا ذلك وكان من الضروري أن نتجه بشكل مباشر إليهن، كظاهرة لن نتوقف عندها كثيرا كخلفية للعمل والاجابة عنها تحمل كل تفاصيل الوجع والبشاعة، بشاعة الجرح الذي سأسمح لنفسي بالتحدث عنه وسأسميه (حروب القذافي القذرة) بكل معنى الكلمة، لأننا نكتشف فجأة مع هذا الحجم من التواجد النسوي أنها كانت مستهدفة من قبله، هذا النزوح من العدد الهائل لماذا تواجدت النساء خارج حدود الوطن؟ في الاجابة يكمن الاشكالية في البدء كانت هناك إرادة منظمة من الثوار لنقل كل النساء... فتيات صبايا... بعيدا بعيدا عن مرمى نوايا القذافي القذرة،ونكتشف أن هناك سلاح آخر سيشهر تجاه الشعب الليبي من طرف النظام الطاغية، وبشكل مبرمج وممنهج كما أشرت،يجعل من المرأة ومن جسد المراة مكانا اخر لمعاركه البشعة،ربما لأنه يعرف مدى الايذاء النفسي والجسدي والاجتماعي، لكننا سنتكلم على الاغتصاب ليس بالمعنى المتعارف عليه بل سنسميها (ظاهرة ليبية) نتوقف أمامها وقد توقفت معي مختلف المؤسسات والمنظمات العالمية عن هذا المعنى الجديد فما هو متعارف عليه في كل الحروب، وفي كل المصادمات العرقية والقبلية،قد يلجا بعض من المحاربين الى الاغتصاب أو ربما يحدث بعضا من هذا النوع من الممارسات ولكن هنا لدينا لا يتم بنفس المعنى،وسأعود الى سؤال مالذي يدفع الثوار الى أن يلجأوا بكل العائلات بعيدا عنهم.، لأنه يعرف أن عدوه من النذالة ومن الجبن ومن القذارة وعذرا لهكذا توصيف وهكذا مفردات رغم أنها ليست موضوعية،ولكن ذلك ما حصل وجرى عند الثوار، أنا قادر على مواجهته بذراعي أو بصدري، بسلاحي،ولكن أن يلتف ويدخل لبيتي وينال مني بطريقة أو بأخرى،هذه مسألة لا يمكن أن نواجهها إلا بأن أبقى في بيتي وحيدا لأحميه، وأجد حلا لمواجهة ما أتوقعه من طاغية عدو لشعبه، وهذا لا يعني أني أجزم من وراء ما أسرده من تحليل بوجود حالات اغتصاب جماعية ورهيبة ومبرمجة، لكن السلاح شُهر بهذا المعنى،يعني أنت لو خرجت لتقاتل سيحصل شيء في بيتك،ولو حصل العالم كله سيعرف،ما حصل من تصوير لحوادث الاغتصاب كانت الكتائب التابعة للقذافي تفعل ذلك،ووجدنا أفلام بشكل مستمر أيام الازمة والحرب التي شنها، يتم الاغتصاب ومن تم تصويره بأجهزة الموبايل وينشر، حتى في التصوير هناك خطة مبرمجة للترهيب، مسألة الاغتصاب تخرج من مجرد النزوات، أو الاخطاء الشخصية لبعض الجنود،هنا يتحول الى سلاح بشع منظم ومبرمج له بطريقة شيطانية، وأنا مسؤلة عن هذا التعبير فهناك أولا أمر عسكري واضح يوجه للجنود وللمرتزقة بشكل خاص،اغتصبوا ودمروا اعملوا ما تريدون هناك منح وإذن فما بالك بالأمر العسكري،ثانيا يزود المحارب أو المرتزق بما يؤيد هذا الامر وهي الادوات من أدوية و منشطات: فياجرا،وحبوب الهلوسة،الخمر،المخدرات،والثوار مسكوا بعض الحالات يظل لأيام يكرر جملا أو غير قادر على التحكم في شخصه، بعد أيام بعضهم يسأل في أي مكان هو،مما يدل على أنه

يدخل حالة استثنائية،إذا نحن أمام أوامر عسكرية من جهة،وآليات مصاحبة لها وبشكل مباشر لتنفيذ جريمة الاغتصاب، وسجلنا في ذلك شهادات من كتائب الطاغية واعترفوا بذلك والافلام وجدت مع جثث المرتزقة،بالنسبة لطبيعة الممارسات البشعة التي تمت بحسب شهادات الضحايا نكتشف بأنه يتم بشكل جماعي وبشكل بشع ولا يشبه في شيء ما نعرفه عن جرائم الاغتصاب التي يمارسها الاخرين تجاه ضحاياهم،رغم أنها تتساوى في معناها وبكل الحالات وتعكس وجعا مريع،وهي ممارسة لا تتم في إطار الانسانية بل تتم في إطار الحيوانية،وشيطانية ومع ذلك هو هنا اغتصاب ممنهج ويتم بشكل فيه قهر تجاه المفعول فيه، لأننا سنكتشف أيضا أن هناك رجال أيضا تعرضوا لذلك الجرم، وجرم مريع إذا في هذه الحالة بالنسبة للمفردات التي سندخلها في بحثنا ونحن نعرف أن الثوار يرفعوا في شعارات من مثل: قولوا لمعمر وعياله ليبيا فيها رجاله،فكان هناك سؤال من المجرم تجاه الضحية: الان أين رجالتكم؟ بهذا المعنى تصوري،يكرر في كل الشهادات تتحدث عن هذا التحدي السافر، والاغتصاب الجماعي كان ينبأ عن عدوانية وحيوانية، وبشاعة غير عادية حالة تعذيب مقصودة، لايشبه في شيء مانعرفه مسبقا، حتى أنه لا يؤدى كفعل وينتهي، هو حالة تعذيب وعدوانية مطلقة،ما يمكن أن تمر به فتاة أو سيدة (تتوقف وتبكي وتعتذر مني)أنا أسفة لا يمكنني أن أكون موضوعية فقط في هكذا موضوع يتعلق بجريمة تجاه نساء وطني،كانت كل شهادة من شهادات السيدات لو وضعناها على جبل سينوء بحمله.

سأعود سيدة سعاد الى عملكم البحث التوثيقي وبما يحويه من جمع دلائل واثباتات لجريمة... الاغتصاب الممنهج من خلال مقابلتكم وتسجيلكم لشهادات السيدات النازحات....

حقيقة لا يمكن الفصل بين الثورة، والمعارك الداخلية، والتواجد على الحدود، هي جدلية مُشتركة،المقاتلون كانوا يعودون في استراحة الثائر نحو الاسر والمخيمات وذلك جزء من النضال،كانوا جزء أساسي وجوهري من المعركة كل الليبين والليبيات على الحدود كانوا جزء من المعركة،حتى أن الامدادات من كل نوع، وسنتوقف أمام كلمة نوع ونضع خط،كانت تتم من المنطقة الحدودية حيث يتواجد الثوار، وأريد هنا أن أحي دور المرأة، فالذي تم حين جمع الشهادات الحية من الجبل،ومن نساء الزنتان تحديدا ويجب تعرفوا أن الانتفاضة تمت بأسلحة من بقايا الحرب العالمية أثناء معاركهم مع الطليان، خبئت هذه الاسلحة، ورُدمت واستخدمت في المواجهات الاولى، عندما انتفض الشباب بدعواتهم السلمية لاسقاط النظام،وقرر مواجهتهم بالسلاح اهتدوا كثوار لأقرب وسيلة ماداموا قد اختاروا الخروج والمواجهة مع النظام،تصوري كان الرصاص به رطوبة وندى،طول فترة التخزين،فكان من الضروري أن يتم إفراغ الرصاص وهو كثير من ظلفته وتنظيفه وطحنه وسحقه، قامت بهذا العمل النساء، المرأة الزنتانية وكذا نساء الجبل،هن من أعدن للسلاح صلاحية العمل، والتمكن من إخراج النساء من مناطق المواجهة من قبل الثوار كان نتيجة

استخدام هذا السلاح في المواجهات الاولى للانتفاضة،واخراج النساء من المناطق عندما أشهر النظام سلاح الاغتصاب في مواجهة الثوار،حتى أنه من بين الشهادات التي جمعناها قالت لي النساء أنهن رفضن رفضا تاما فكرة الخروج والمغادرة لمناطقهن،تصوري وهذا شيء له دلالاته الخطيرة وسأذكرها الان للتاريخ،عندما قال الرجال الثوار للنساء: لا تردن مغادرة المكان إذا أحضروا صبايانا نقتلهم قبل أن يتمكن الطاغية وكتائبه منهن،نقتلهم نحن إخوتهم وإبائهم قبل أن يُلحق الطاغية العار بنا اغتصابا،لأشراف الجبل لحرائر الجبل بالنسبة لهم الشرف والعرض واحد،درجة تشبتهم بأن لا تغتصب فتياتهن،رغم كل ذلك فإن انسحاب النساء الى أبعد نقطة من خطوط المواجهة المباشرة لم يتركها بعيدة عن المعركة، بكل معنى المشاركة واسمحي لي هناك بعض الاشياء هي بعض من أسرار الحروب لكن المرأة في الجبل كانت دائما حاضرة، تحية لحرائر هذا الجبل،هن من صنعن هذا المجد وهذا الشرف،كان كل يوم هناك شهيد يوميا عاصرت كثيرا من زغاريدهن لأبنائهن الشهداء،كنا قويات تجاه الحدث العصيب ما أروع مشهدهن، لا يمكن وصف المشهد مشهد استثنائي،كانت كل واحدة منهن تفخر أن لديها شهيد قدمته للوطن، ويجب هنا أن نتوقف أمام شيء هام، ظاهرة الاغتصاب الممنهج لا يعني أن كمجرم وطاغية برمج كتائبه لا يعني ويجب ان نؤكد على هذا الجانب، عند توظيفه لهذا السلاح وتخطيطه الشيطاني لا يعني أنه نجح فيه مع كتائبه ومرتزقته،واسمحي لي أن أقف أمام مفهوم المرتزقة من اشتراهم بالمال ولم يملكوا أي رحمة أو شفقة،للأسف تميزوا بعنف غير عادي،لولا المواجهة الجبارة والبطلة من كل فرد ناضل في هذه الانتفاضة،شخصيا عشت تجربة مناطق ومدن الغرب،عشت كل مناطق الجبل، وسأسمح لنفسي تجربة بشكل مباشر وبشكل يومي،كل الفترة الماضية،وسأعود الى نقطة سابقة،ما حصل من جرم وما سقط من شهداء ذلك لا يعني أنه نجح فيما يتعلق بظاهرة الاغتصاب صحيح حدثت جرائم مروعة والارقام أيضا ولو ترك له المجال لاغتصب كل النساء في المناطق التي انتفضت وتمكن من الاستمتاع بهذا القهر، وألحق الاذى أيضا بالرجال اغتصابا،وأريد أن أتوقف قليلا أمام بطلة من بطلات المناطق المختلفة،المقاومة الحقيقية واعذريني إذ أعاود ولا أكون موضوعية في هكذا قضية،كلما يصعد الى رأسي وحواسي لون الشهادات، شهادات البطلات من المعارضات في المدن والعاصمة أيضا،من قبض عليهن النظام،عندما اعتقلن وتم سجنهن تم اغتصابهن ببشاعة داخل السجون،وهذا أيضا مريع، ومن شبابنا أيضا هناك حالات اغتصاب، وهنا ينتهك الحق الانساني،حق الاسير، حق المرأة،ولما نشير الى طبيعة وبشاعة هذا السلاح،والحديث في هذا الموضوع ليس فقط لفضح ما يحدث،وطبعا الصمت عن الجرائم ليس مطلوب أيضا في مثل هذه الظروف،ولكن لا يكفي الكشف أو فضح بشاعات حروب القذافي، نحن الان نعمل وجزء من عملي وجودي معك في هذه المقابلة، نحن الان نعمل على إدانته في هذا الجانب بالذات،ولمجموعة الجرائم التي ارتكبها في حق شعبه، ونسميها جرائم ضد الانسانية،في القانون الجنائي العالمي،وتخص هذا الجانب تخص الاعتداء الجسدي الجنسي،ضد أفراد من شعبه رجال ونساء،وتقديمه الى محكمة لاهاي الجنائية،بكل ما يحمله هذا الملف من معنى التقديم،نريد ان ننتقم لهم أن ننتصر لهم هو التزام

بعهودنا تجاههم، وتجاه الوطن، هم وهن ضحايا هذه الحرب، شهداء وجرحى ومعاقين وأيتام،نراهم أمام أعيننا ونتفاعل معهم،ولكن هناك ضحايا من نوع آخر يصعب وصفهم هم لن يتكلموا بشكل واضح، ضحايا الاغتصاب ومن خلال 58 شهادة،خمسة فقط وافقن على الشهادة أمام محكمة لاهاي،وصعب أيضا أن نشير الى أي منطقة حصل ما حصل، ونحن نعرف طبيعة المجتمع وخصوصيته رغم أنهن ضحية وهم ضحايا يظل الموضوع مغلف بكثير من المحافظة،من التابوات،نحن فريق نشتغل يد بيد وبمساعدة مؤسسة عالمية:هيومن رايتز وودز،لتجميع كل الأدلة كل الادلة المرتبطة بهكذا موضوع نحتاجه ومن أي نوع وسبق أن تحدثنا عن كل ما وظفه هذا الطاغية لجريمته الممنهجة، يعني بعض من الضباط المنشقين واشتغلوا معنا عبر شهادتهم وهي ذات وزن خاص، الان أربعة أشهر من الشغل المتواصل على هذا الموضوع،وقد تفرغت له مؤخرا وكجزء أساسي، سجلنا شهادات من الضباط المنشقين من أثبتوا لنا أنه من خلال المرحلة الاولى من انتفاضة الشعب الليبي خمنوا أنه ربما يلجأ الى الاصلاح أو ربما يقدم لهم كل المغريات أو يلجأ للقمع الرئيسي، كان هناك تيارين لكن النظام أختار أن يمزج ما بين الرأيين فتمت شراء صفقة كاملة من الادوية المهلوسة والفياجرا،فاي شهادة على شرائه لأي نوع من الادوات التي وظفها لجرمه،مخازن الادوية، او بعض الضباط الذين تعاملوا مع النظام بشكل مباشر،اوجه لهم نداء وبكل ما تحمل الكلمة من وطنية نريد شهادات نحتاج شهادات،أريد أن أقول لكل من تعرضت الى أي نوع من انواع العدوان،الجنسي أو الجسدي،سنناضل لننتصر لهن، وسنقاتل من أجل أن ينتقم لها،إسمحوا لي أن أردد كلمة انتقام لأنهن ضحايا على مختلف الاصعدة،ينبغي أن نعوضهن رغم صعوبة هكذا عمل فلن نستطيع تعويضهن، ولكننا نعرف أن لديهن حقوق وحقوق كبيرة، ارجو منهن أن يسمعن هذا النداء نحن نشتغل على قدم وساق من أجل جمع كل الأدلة، تأخرت شهادات طرابلس لكننا موجودات في طرابلس الان ونشتغل على أي شهادة من أي نوع، وطوال فترة وجودي بالمناطق الحدودية،أقدم رقمي ليل نهار من أجل الشهادات والادلة،هذا شيء والشيء الاخر ضرورة تنبيه كل من له شأن في إدارة الدولة هذا النوع من الجرح علاجه طويل المدى،ويجب أن يخصص ميزانية خاصة،ولها برامج تسمح بإعادة تأهيل،وتعاون طبي وصحي من الجانب الجسدي والنفسي،لأن جروحهن الجسدية الجسيمة لا تقل عن الجانب النفسي ستظل غائرة.هن شهيدات بالمعنى الجميل والرائع صبرن وتحملن وحملن جرحهن، لن نتركهن وحدهن،نحن لهن كسند ومُعين، الان نحن فريق متكامل، نحتاج ثقتهن وثقتهم في طبيعة توجهنا لهن يجب ان تكون متكاملة، وكما قلت لهن حقوق ليس التعويض المادي فقط هذا أقل ما يمكن، ساهموا معنا في ادانتة كمجرم خلال المحكمة، الان لدينا حدث تاريخي الا يريد أن يدخل التاريخ فليدخله من هذا الجانب من أبشع أبوابه، لنثبت عليه هذا الجرم،الذي حصل بالفعل لقد قدم كل اليات الانتقام من شعبه، المريع أن ما حصل في تاريخ الشعوب الاخرى من ومواجهات واغتصابات من شعب ضد شعب عدو أخر، وليس رئيس ضد أبناء شعبه،هي الاولى في تاريخ الشعوب كجريمة من هكذا نوع ومن هكذا رئيس ضد شعبه.

يهمنا أن نطلع على عملك الان هنا في طرابلس باعتبار اختلاف الواقعين: السابق،وبين طرابلس المحررة ماهي خطوتكم تجاهها.

جئنا للعمل هنا ونتواصل في نفس عمل الملتقى الوطني للمرأة الليبية، وأنا شخصيا لن أتوقف عن متابعة الموضوع، لأن طرابلس محررة ستسمح لنا بالكشف عن الكثير من الملفات،كل الملفات التي كانت خلف تلك الجرائم التي كنا نراها على أرض المعارك،الكشف عبر كل مؤسسات الدولة سواء وزيرة المرأة، ووزير العدل والاستاذ العلاقي لا يحتاج لجهد مني لإعلامه ولأؤكد عليه، وهو أكبر المناضليين في اتجاه تقديم المجرم للقضاء والعدالة، والملف الذي نعمل عليه به جانبين: الجانب العدلي،وجانب الانتقام وتقديم الفعلة،هناك الفاعل الاول رأس الافعى، وهناك من قاموا من عصابات الطاغية بالاغتصابات بشكل مباشر،والجانب الاخر:ما يحتاج الى عناية كما ذكرت سابقا بكل الضحايا، سيكون عملنا بالدرجة الاولى مع وزيرة المرأة الدكتورة هنية القماطي، ولم تتم برمجة كيفية العمل، ولكن سيكون دورها أساسي في الموضوع هناك الجانب الصحي، الفترة السابقة كنا نتحرك على أكثر من جبهة الجبهة الشرقية، والجبهة الغربية،سيكون هناك عمل موحد بدأ من طرابلس المحررة، سنوحد جهودنا عبر لجنة مشتركة في ذات الهدف.

كيف نحوصل الرسالة،والعمل الذي تتبناه منظمتكم ما تريدين إيصاله الى شعبنا الليبي بخصوص أحدى جرائم الطاغية وكتائبه؟

رسالتنا ومجال عملن سيكون كما يلي بحوصلة شديدة التركيز:كل من تعرض لاذى جسدي بالمعنى الجنسي، الاغتصاب له معنى واسع، يسمى التفتيش الجسدي: للرجل أو المرأة، وأن يتم التحرش بأعضاء حساسه من جسده، عندما يفتش ويعنف بهذا المعنى اي كل من تعرض لاشكال تعذيب ذي نمط جنسي،يدخل في إطار العنف الجنسي، لو تعرضت لارهاب من نوع جنسي فحواه لو لم تعمل كذا سيعُمل فيك كذا، بعض السجناء رأوا أخرين يُفعل أمامهم هذا النوع بأخرين شهاداتهم هامة،اي من الثوار شبابنا من الثوار الرائعين،أرجو منهم: اي شي يجدونه من أي نوع اي دليل، علبة دواء أي شيء يوحي بمكان تم فيه هذا الفعل يجب أن يصوره، يضع عليه علامة ويحفظه، مازالت الفرصة أمامنا لنجد للاسف الشديد سنجد من (البلاوي) الكثير في أحياء طرابلس مايعجز اللسان عن وصفها،لستُ الاولى التي تكرر هذا الكلام ولست الاولى التي تلفت الانتباه الى الرصد والحفظ، والتبليغ عن أي شيء يجدونه، بلغوا أهل الشأن على طول، بالنسبة للذين تعرضوا بشكل مباشر للاعتداء يجب أن يعلموا أن لهم حقوق ولكن أيضا عليهم واجبات التنديد بما جرى وتقديم شهاداتهم ليس بالضرورة تقديم أسماء كاملة،ممكن تكون مستعارة أو مرموزة،لكن الحادثة تقدم بتفاصيلها من المغتصب من الكتائب أو من المرتزقة،ذلك يساعدنا على تقديم الحالة،الشيء الاخر الذي يجب أن نركز عليه،يجب أن لا يسكتوا على حالات

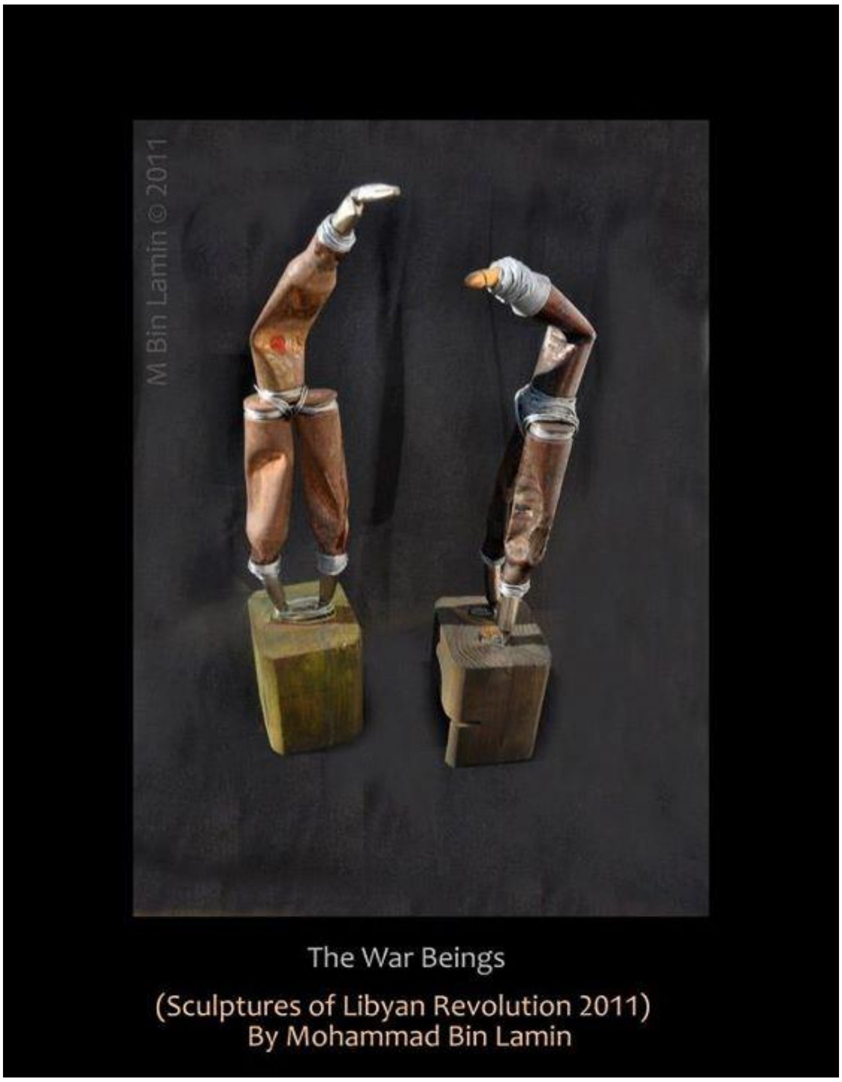
الاغتصاب فهناك أمراض خطيرة،يجب القيام بالتحاليل الطبية اللازمة،الموضوع يخرج عن دائرة تكلمت أو لم تتكلم، الموضوع يحتاج الى متابعة طويلة الامد، أرجو أن يؤخذ هذا الكلام بجدية،وأريد أن أشدد على هذه النقطة لم ينجح الطاغية القذافي في خططه الجهنمية التي ارادها لحرائر ليبيا، نحن كشفنا وعرفنا الخطط ووجدنا شهادة من أحد المقربين إليه، قال لهم الطاغية: بنت من السنتين الى العشرين سنة،اغتصبوا تصوري حتى الطفلات،نحن أمام أوامر مباشرة،ومع ذلك هو في مخططه الجهنمي لم ينجح،لنطمن الليبين نطمئن شعبنا أنه لم ينجح، وكما نقول من قتل نفسا فقد قتل الناس جميعا، سنقول أيضا من اغتصب امرأة فقد اغتصب النساء جميعا، فيكفي انه تمكن للاسف الشديد من بعض حرائر مناطق ليبيا، ومن بطلات ليبيات مناضلات في السجون ونأسف أن هذا حصل، بدأت ثورتنا كانت ثورة حرية، والمرأة كانت وقود لهذه الشعلة الرائعة،أرجو أن لا تنطفي وأرجو أن تكون يد بيد مع الرجل، وستظل المرأة جزء من الحراك الرائع الذي قاد ليبيا الى هذه اللحظة التاريخية.

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

مجلة المقتطف

آفاق الشعر

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012



The War Beings
(Sculptures of Libyan Revolution 2011)
By Mohammad Bin Lamin

كلام فارغ

سميرة البوزيدي

علم وقبر ويدٌ على خده البارد

أسماء مصطفى الأسطى

لا أفهمكم أيها الرومانسيون

بثينة العيسى–الكويت

الكلام الذي لم أقله

نمر سعدي–فلسطين

كلام فـارغ

سميرة البوزيدي

كلام كثير
كلام فارغ
الوطن الذي نريده مضيئاً صار يطفئنا
كأنك يا زيد..!!
وكأن دم الشهداء ماء
الجميع صار مناضلاً ومكافحاً وشهيداً وجريحاً
ومدبجاً ومفوهاً ومحللاً وخبيراً
وفيك يا وادي الثقافة والصحافة

ومابين يوم وليلة
امتلئت كأس المخيلة بالكذب
والأحلام بالكراسي
والطموحات بالجشع
وأصبحت القصيدة عصيدة
والكل غارف
والقليل عارف
نستند طويلا على مراحل انتقالية ومؤقتة وداعمة ومشجعة
وعابرة وغابرة
نرمم أحلامنا القديمة وهي تطل على طراوة النصر
وفرح البلاد الذي صار منهوبا.
الكتابة تموت ويحيا كل زعيم جديد
كل متثاقف أثيم
كل مستنسخ
كل متزلف
كل منافق أصيل

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

كل متدحرج بارع من وقت لوقت
وعفا الله عما سلف.

الكتابة تموت
ويحيا الكلام الفارغ الكلام الكثير
ولكن الوطن الذي صار على شاكلة رغيف ساخن
أو كعكة كبيرة
او طاولة يمتد تحتها الخداع
هل سيحتمل المزيد؟؟
صغاره الذين كبروا
يقسمون أحلامه
ويعلقون ضحكته على النحيب.
إليكم أجندة مثقف اليوم
اللهف ثم اللهف ثم اللهف
ويا بلادي .. يا بلادي
وعلى الكلمة السلام
مادام الزبد يمكث في الأرض
والحقيقة تصير جفا.

علمٌ.. وقبر.. ويدٌ على خده البارد

«إهداء الى روح أخي الشهيد هشام»

أسماء مصطفى الأسطى

«جميل هذا العَلم.. اصنعي لي مثيلا له»
قالها في صباحات الانتظار المرّ..
حينما كان يزورني محملا بالخبز والأخبار..
نتبادل الهموم .. ونقتسم الأرغفة..
أحمّله الحذر من التعرض للخطر..
يوصيني إخفاء « العَلم « عن عيون الشرر..
يشغلنا اليوم.. والغد المرتقب..
لأخبره بالسر... لايخبرني بالسر..
حتى يوم سقوط قلعة الورق..
كان قلبي يحترق..
عمن نقاله لايرد..
مانحا لاسمه ولي .. اسما مرتقبا جديد..
لم أصنع له عَلما مماثلا ..
غدا « العَلم « ذاك الذي أعجبه..
غطاء قبر الشهيد..
أم الصابرات
كنت أفرّ هرباً وألماً..
كلما قابلتني عنوة عبر الشاشات..
فيها صلابة الليبية الأم..
يجاورها الوالد ذا الحزن الصامت..
تسبقها زغاريدها ..
وهي تشد «فراشيتها» حول جسد منهك..
وقلب منفطر مكلوم..
تكابر ألمها وفقدها الموجع..

تنحني على جثمان الشاب الوسيم..
تدعو بصوت مجروح يقطر دما شفافا..
«اجعلني من الصابرات ياربي»
تمسح يدها الحنون جبهته ورأسه وخده البارد..
من الميلاد حتى الممات...
تودعه بما يحبه الأبناء من فعل الأمهات..
بعد تحرير طرابلس..
كنت أزغرد مثلها.. وأدعو..
اليوم ..أمرر يدي على صورته الباسمة الملونة ..

مجلة
المقتطف
آفاق الشعر
السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

لا أفهمكم أيّها الرومانسيون ..

بثينة العيسى–الكويت

عذراً أيها الرومانسيون، أنا لا أفهمكم.

لا أدري كيف
تمزجون الورديّ بالرمادي
وتصبغون به كل شيء:
السماء، والشجر،
والأحلام
وحتى قطرة الدم.

لا أفهم حاجتكم إلى اختراع الحزن،
في حين يمكنكم أن تعثروا عليه
مثبتاً فوق رؤوسكم،
كما لو نظاراتٍ طبيّة.

لا أدري لماذا تركضون دائماً
وراء القمر، والنجومِ، والينابيع
أليست جدران الغرفة
مستفزّة كفاية؟

ولماذا يجب أن يكون هناك
آخرٌ بعيدٌ وناءٍ
لكي نناشده ..
صخبُ الوحدةِ الذي لا يحتمل ..
يكفي وزيادة!

لماذا تنتظرون أن يحلّ الليل
حتى تطلقوا الأشعار في الخلاء
أليس القيظ النهاريّ أقرب إلى الفجيعة؟

ثمّ وما معنى ..
أن يكون هناك نبع
ميتافيزيقي
للحزنِ
لأجل أن يكون الشعر

أليس الألم، دائماً
في متناول اليد؟

أليس الألم كثيرٌ
وملء القلب؟

أليس الألمُ الآن
وهنا ..

وإلا ..
فكيف أفسر هذا الوجع اللعين الذي
يشقّ أضلعي؟!

الكلامُ الذي لم أقُلْهُ

نمر سعدي – فلسطين

(1)
لقلبيَ عينانِ نضَّاحتانْ
وسمعٌ رهيفٌ لرَقَّةِ مُخملكِ الرطبِ في الليلِ
حينَ تجيئينَ مكتظَّةً باللهيبِ وبالثلجِ
مشغولةً بالمحارِ الحليبيِّ
مدهونةً بالشذى مثلَ نرجسةِ الشعرِ
مسكونةً بالبكاءِ المشعِّ
على ما استقالَ من الشمعِ منكِ
وعابقةً بندى الأُغنياتِ العصيَّةِ...
حافلةً بالخرافةِ....../

قلبي بعينين نضَّاحتين
يرى فيكِ كُلَّ الذي لا تراهُ العيونْ
ويلمسُ همسَ الخطى
وانتباهَ الأصابعِ فوقَ الغصونْ
ورقَّةَ مخملكِ الرطبِ في الليلِ
حينَ تجيئينَ لاذعةً كالدموعِ
وشفَّافةً كبكاءِ الرضيعِ
وصافيةً كالينابيعِ
قاتلةً كأكُفِّ الشتاءِ
وناعمةً كحريرِ الصقيعْ
تجيئينَ عبرَ المساماتِ
عبرَ الخطى الوالهاتِ
وعبرَ انتظارِ القصيدةِ
عبرَ انهمارِ الكلامِ الجميلِ
المخاتلِ كاللصِّ أنثى الربيعْ

تجيئينَ.....
تندلعينَ بقلبي كسربِ السنونو
كحقلٍ من الجمرِ
تستنبتينَ الخرافةَ والمجدَ والنهرَ والحُلمَ
تنكسرينَ على صخرةٍ عاشقةْ
تجيئينَ موَّارةً بالأناشيدِ
منذورةً للطفولةِ
ملغومةً بالعواصفِ والقُبَلِ الحارقةْ
ومُزدانةً كالطبيعةِ في عُرسها
كإناثِ الطيورِ التي لم تعُدْ
من سِفارٍ إلى الحُبِّ والهاويةْ
أنتِ كالأبجدِّيةِ في قاعِ قلبي
وأيقونةٌ للمحبَّةِ ملءَ دمي ذاويةْ

(2)
كلَّما اندلعَتْ في عيوني الرياحينُ
واحتشَدَتْ في عروقي الزلازلُ
يمَّمْتُ قبلةَ رائحةِ المسكِ في صدركِ المرمريِّ
ولوَّحتُ بالبَيرقِ المتمزِّقِ
تحتَ الشفاهِ التي عمَّدتني
بماءِ الحنينِ ونارِ الطهارةِ
ذاتَ نهارٍ عصيٍّ على ما تقولينَ
عن وجعِ الكلماتِ التي لم تُخالفْ رؤاكِ
وراءَ المعاني الحبيسةِ مثلَ الأحاسيسِ...
أو شهقاتِ الفرَحْ
تجيئينَ أو تذهَبينَ كقوسِ قُزَحْ

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

وها أنني لا أُلملمُ إلاَّ بقاياكِ
مثلَ الذئابِ الوديعةْ
أو أنتشي بالرمادِ الحبيبِ.. ولذعِ القدَحْ
ألفُ نجمٍ على طرَفِ الخصرِ منكِ يُصيحونَ
بي
وأنا بسمةٌ لا تغادرُ عينيكِ حينَ تنامينَ
أو طيفُ أمسكِ أو ظلُّهُ
أو مرايا اشتهائكِ
أو حقلُ رائحةٍ من سرابٍ
لرغوةِ شهوةِ قلبكِ خلفَ الفضاءِ انبطَحْ
وأنا دمعةٌ لا تغادرُ كفّيكِ
حتى تُحيلَ دمي نهرَ نيلوفرٍ
في مهبِّ الرياحِ
وشوقي ضباباً لمعنى العدَمْ
كلُّ هذا الكلامِ الذي لم أقلْهُ
انتصارٌ لما فيكِ من رغبةٍ أو ندَمْ

(3)
لقلبيَ عينانِ نضّاحتانْ
وأجراسُ وردٍ
وأنهارُ شهدٍ
وتسبيحةٌ للصباحِ الحزينِ
وأمطارُ دمعٍ لشوقِ الزمانْ
إلى ما تقولينَ يوماً بحسِّ الخريفِ المروَّضِ
من غيرِ أن تنبسينَ ببنتِ شفاهٍ....
وتشتعلينَ بماءِ الحنانْ
لقلبيَ عينانِ نضّاحتانْ

(4)
كانَ حُزنكِ أكبرَ من فسحةِ الصبرِ ملءَ يديَّ
وأوسعَ من قُبلةٍ كحوافِ الهلالِ المقالِ من
الجنّتينِ
وأضيقَ من بسمةٍ عابرةْ
على مشهدِ الأرضِ والآخرةْ
كانَ حزنكِ يأخذني كالغريبِ إلى اللا مكانْ

(5)
كُلُّ هذا الكلامِ الذي يتمايلُ
مثلَ النسائمِ في غابِ روحي
ويُرجئني كالقصيدةِ من دونِ قصدٍ
إلى لحظةٍ غابرةْ
كلُّ هذا الكلامِ يُراودني عن وفائي
ويخلطُ كلَّ لعابِ الذئابِ
وسُمِّ الأفاعي..... بمائي

(6)
لماذا تريدينَ نقضَ الغيومِ التي
نسجتها أصابعُ بنلوبَ يوماً ثياباً لقلبي....
ونقضَ خيوطِ القمَرْ..؟
أنا لا أحبُّكِ أكثرَ من أيِّ شيءٍ
وليسَ أقلَّ من الأُقحوانِ الغريبِ بفصلِ
الشتاءِ
فرُدّي إليَّ نقاوةَ فجري
وبعضَ براءةِ شعري
وعمري الذي نقَّطتهُ دموعُ السفَرْ
ولا تقتلي بلبلاً في سَحَرْ
ولا تصبغي فلَّةً بقتامْ
....
أنا لن أُسائلَ لو مرّةً واحدةْ
ولو كانَ سائلَ بعضُ انفعالي
وبعضُ جنونيَ فيكِ.....
فلا تصمتي أو تجيبي
ولكن إلى الحبِّ توبي
وتوبي إلى نجمتي الشاردةْ

مجلة
المقتطف
آفاق الشعر
السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

وراءَ سماءِ عيوني
وهاويةٍ في أعالي حنيني

(7)
شُرودُكِ بحرٌ كئيبٌ كئيبٌ.. ونارٌ طقوسيَّةٌ
كالنوارسِ
راحتْ تُرفرفُ فوقَ جبيني
تُخلِّدُ مجدي القتيلَ الجميلَ صباهْ
تلذِّعُ قلبي بطعمِ الجليدِ الذي نزَّ من بسَمَاتِ
الشفاهْ
وأنَّكِ أطهرُ من نسمةٍ في الضحى المستعادْ
وأنصعُ من قبلةٍ لا تحطُّ بأيِّ بلادْ
وأشرسُ من ذئبةٍ في الفلاهْ

(8)
تستحمُّ دماؤكِ بالأغنياتِ
كما بالشموسِ الأليفةِ في كلِّ ليلةْ
ويُزهرُ وجهُكِ بالعنفوانْ
كأنَّكِ زنبقةٌ عاريةْ
وحوريةٌ لا تفارقني منذُ بدءِ الزمانْ
على صهوةِ الوجدِ والحلُمِ المستباحْ
فأزرعُ عينيَّ ماءَ بحارٍ
وحقلَ نجومٍ وراءَ الصباحْ
وأفهمُ فيكِ غموضَ الحياةْ
والوضوحَ الذي يتقطَّرُ من ساعديكِ

كماءِ الوضوءِ على شهقاتي
أنتِ سرٌّ لأفعى الأنوثةِ ينسابُ في قلبِ فُلَّةْ
وأنَّ عذابي المتوَّجَ فيكِ قصيدةُ منفى
وسيفُ هيامي الذي هو أهيبُ
من غابةِ النارِ في ملكوتِ الظلامْ
بهِ سوفَ أُقتلُ يوماً بأُمِّ يميني
وأُصبحُ بعضَ الهديلِ القليلِ
وظلاًّ من الياسمينِ الحزينِ

(9)
الفراغُ يجفُّ دمي بالعذاباتِ
يرفعُ عينيَّ فوقَ الصليبِ المتوَّجِ بالشوكِ
يحضنني في الأعالي
ويُكملُني بالمعاني
التي نقصَتْ من كياني
الفراغُ يُمسِّدُ أظفارَهُ
بحريرِ الكلامِ الذي لم أقلهُ أنا.....
وأنا لم أكُنْ غيرَ ظلِّ الكلامِ المعلَّقِ بينَ
السماءِ
وما بينَ أرضِ الخسارةِ.....
ما بينَ عينيَّ أقصى جحيمٍ سدومَ
وما بينَ حُلمٍ يُرفرفُ أعلى سماءِ اليمامِ الذبيحِ
إلى لا انتهاءْ
ليتني كنتُ ظلاًّ لأنثى الحزامْ.

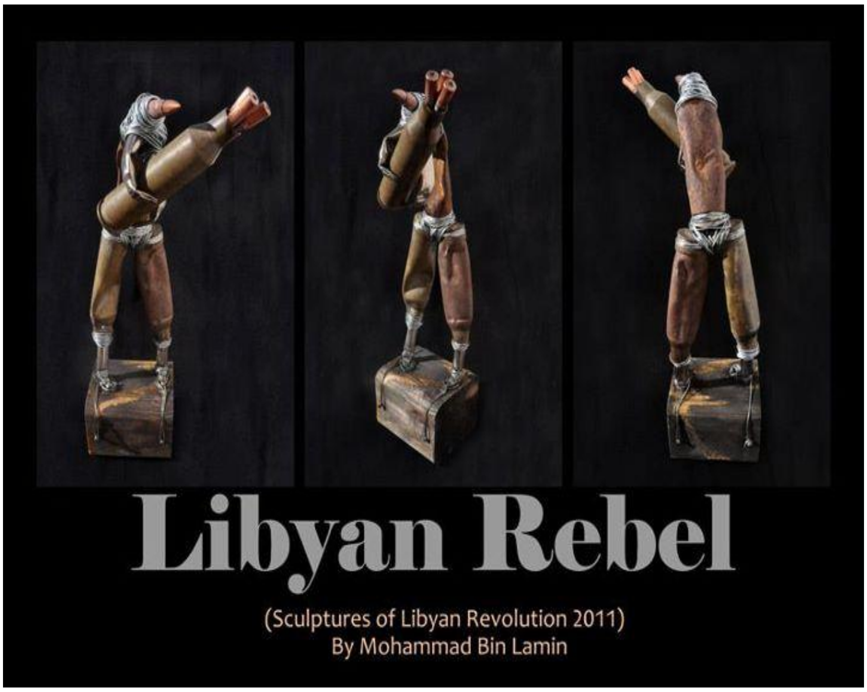
كانون أوَّل 2009

مجلة
المقتطف

آفاق الشعر

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

مجلة
المقتطف
آفاق السّرد
السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012



القُفّـة

إلى/ شاهة القرقني....

عزة المقهور

سحبت خالتي "مناني" الباب نحوها، ثم مدت يدها إلى "القفة" المخبأة خلفه... قبضت بأصابعها على أذني القفة بعد أن قضمت بأسنانها فراشيتها.... وخرجت.

كانت تصطحب القفة من أذنيها بقوة كل يوم عندما تخرج "تقضّي"، وكأنها تمسك بيد طفل مشاغب يتمنع من مرافقتها... تتخلل سعفها بعشوائية خيوط قماشية ملونة أو لامعة، ما أن تضع قفتها على ظهرها على الأرض حتى تفقد توازنها وتميل على إحدى جانبيها. أذناها على شكل نصف دائرة، صلبتان ومتماسكتان، حين تقبض خالتي مناني بأصابعها عليهما تمتصان العرق البشري فترتخيان وتستجيبان لمداعبتها كأذني الهرة.

تتراص "القفف" على أرصفة "باب الحرية" بالمدينة القديمة وتتشابه، يأتون بها من الواحات البعيدة المسترخية في حضن الصحراء.

القفة بتاء التأنيث، مهنة النساء بامتياز، هيكلها كأجسادهن شبه دائري، تصنع من السعف النابت على جانبي جريد النخيل. تتربع النسوة على الأرض في حلقات، وبعد أن تقلم الجريد وتكدسه إلى جوارهن، تنكب عليه، تكمشن بأياديهن الخشنة مجموعة منه لتسل الالياف من الجريد الأبيض، ثم تثنين أياديهن نحو أجسادهن، تمسكن بالسعف بأصابعهن المشققة كأبواب "الحارة"، ذات الأظافر المتعرجة كأزقتها، وتحركها بسرعة كمخالب " الباغلي" فتصدر عنها حفيف ناتج عن الحركة السريعة وهي تلامس الريح. يصنعون منه القفف ومغاطي "المعاجن" وعلب السعف والمكانس والمخاطف وألياف الحبال.

توضع القفاف في أحضان بعضها البعض، خفيفة مهما تكدست، يرمى بها فتطير في الهواء وهي ما تزال تتعانق، وتقع كيفما كانت على ظهر السيارات نصف النقل، يربطونها بالحبال ولا يفكون أسرها إلا في زقاق "باب الحرية" بالمدينة القديمة.

تخرج خالتي مناني إلى الشارع وهي تقبض بأصابعها على أذني القفة، تأرجحها على وقع خطواتها، تعلو بها إلى الأمام، لتهبط، ثم تعلو بها مجددا إلى الخلف، تتحرك بخطوات واثقة في "زاوية الدهماني"، تدخل إلى دكان "الخضرة" تدور برأسها وتميل به نحو الخضار المصطف أمامها كالرقيق في سوق النخاسة، تمسك به، تعاينه، ويبدو من نظراتها وكأنها تستطعمه... تصطفي منه بأطراف أصابعها ما يحلو لها، ترفع قفتها وتضعها إلى جوار الميزان، يصف البائع بضاعتها داخلها وهي ما

تزال تقبض على حاشية فراشيتها بأسنانها، حتى ينكمش ما حولها ويبتل بلعابها. تتجه بعدها إلى "الكوشة" تختار بيديها الدافئتين المعرورقتين خبزها الطازج من "الشعير" و"البانينات" المنتفخة الساخنة.

تعود إلى بيتها تفرغ القفة تدفع باب المطبخ ثم ترصها في حضن قفة أخرى خلف الباب.

كانت ملامحها صارمة لكنها حين تضحك تتفتح كزهر الليمون وتلمع سنها الذهبية الجانبية، فتبدو أصغر سنا...

تفتح باب شقتها كل " عشية"، تستقبل جاراتها بعد العصر، بعد أن تغتسل وتضع قفطانا نظيفا وترطب يديها وصدرها بالزهر... تسألهن عما طبخنه للغذاء، بينما تحمس على "الصطوفة" الكاكوية أو اللوز.

توكل إلى احدى الجارات مهمة إعداد "شاهي العالة"، لكنها تظل ترقبها عن كثب وتوجه تحركاتها كجهاز التحكم عن بعد..." العفو خيرك من غير نية"..." شدي البراد باهي" "خيرها الكشكوشة مطفية"، ولم تكن تضقن ذرعا بها.

تجهز الكعك المالح والحلو في أواني مغطاة بمفارش قماشية بيضاء، وتضع قطع الخبز الطازج وبعض الجبن والتن والهريسة والزيتون و"جرار" الطماطم الأخضر والخيار في أطباق ذات أحجام مختلفة على سفرة معدنية دائرية.

"سفرة مناني"! كانت ترددها من حين لآخر أو تستحث الأخريات على قولها.. لتحكي لهن عن أصل القصة... "زمزامة طرابلسية...... سفرتها معبية ومشكله... وكان نسوا حاجة تروح وتخليلهم العرس يربخ".

كنت صغيرة، أذهب مع جدتي إلى شقتها ذات الباب "المردود" بعد العصر، أرى الشباشب عند المدخل، أنزع حذائي وأدخل.. كانت لها غرفة صغيرة مجاورة لمطبخها مليئة بالقفف ذات الأحجام المختلفة، نلعب بها مع بنات الجيران، نجلس داخلها لتقوم إحداهن بسحبها على بلاط الممر الطويل، ينمو داخلنا شيئا فشيئا إحساسا بالغبطة، حتى تنقلب القفة وننقلب معها ونحن نقهقه.

إلا القفتان اللتان خلف باب المطبخ، كانتا ممنوعتين من الاستعمال أو اللمس، أفهمتنا بنظرة صارمة أن لا ندخل المطبخ وأن قفتيها تلك هما ابنتيها النائمتين في حضن بعضهما البعض... وكم كنا نتوق لرؤيتهما، نقف عند شق الباب وننظر اليهما.. كانتا أشد بياضاً من بقية القفف المرمية في الحجرة المجاورة ويخيل إلينا انهما أكثر اتساعا... نتخيل أن لهما اسمين يميز أحداهما عن الأخرى.

لم يكن لخالتي مناني أولاد، تزوجت من زمن ورحل عنها زوجها، صورته مؤطرة ومعلقة على الحائط في سقيفة الشقة تظهر عليها طبقة خفيفة من الغبار عندما تشاكسها أشعة الشمس، تربي ابنة أخ لها "صبية" سرعان ما زوجتها ورحلت لمدينة أخرى. كان أولاد الجيران أولادها، ترمي لهم بالقفة من النافذة أحيانا خاصة إذا ما أمطرت، وفي قعرها تضع قطع النقود بعد أن تحكم تغليفها بقماش أو ورق مقوى " سلم وليدي... خوذ بالباقي حلوة".

وهنت ساقا خالتي مناني واحدودب ظهرها وغزا البياض شعرها، بينما أشتدت أعوادنا. أغلقت بابها، ولم تعد تخرج بقفتها تتقضى، تتكيء على أولاد الجيران تطلب منهم باستعطاف ما تحتاجه من السوق، تفرق عليهم القفاف وتهبهم دعواتها بلا حساب.

لم تعد تقوى على المشي، سمعت جدتي تقول" مناني تزحفت"، ولم تعد الزيارات كما كانت... أصبحت واجبا ثقيلا، تلتقي بعضهن عندها لمدة قصيرة، يحكين فيما بينهن بينما خالتي مناني ممددة بالكاد تعي ماحولها، تتفحص الوجوه ولا تبتسم... ارتخت ملامحها ففقدت صرامتها، وجف زهر الليمون وتساقط.

حين حمل أولاد الجيران وبعض أقاربها نعشها، بعد أن فتحوا عليه رداء جديدا وردي اللون، وحدوا الله وكبروا، ورأيت بعضهم يغالب دموعه.

بعد رحيل خالتي مناني، سكن شقتها ابن شقيقها، وفي أحد الأيام وجدت قفافها مبعثرة أمام باب العمارة، وقد فقدت لونها واتسخت.... قبضت على إحداها بيدي وتساءلت فيما لو كانت تلك التي احتضنتني صغيرة ثم مالت بي واوقعتني... نظرت الى القفاف المائلة في كل اتجاه باستعطاف وانتابني شعور للحظات أنهن تيتمن بعد وفاتها.. فكدت أبكي...

غادرتنا خالتي مناني، إلا ذكريات قفافها تدغدغنا وحكاية سفرتها نرددها على مسامع أولادنا كلما اجتمعنا على سفرة " خالتي مناني" أيام الجمعة.....

2012 .2 .18

مجلة المقتطف

آفاق السّرد

السنة الـ11

العدد: 77

مارس / ربيع 2012

سينما الزهراء

محمد المصراتي

طرابلس – يوليو 2010:

هناكَ عبث، هناكَ فوضى وهناكَ شيء يحدثُ في حياتي وفي هذهِ الأيام تحديدًا ولا أجدُ مبررًا له. مذ أن التقيتُ بأصدقائي الجدد وحياتي باتت تتغيّر وتأخذُ منعطفًا أخرًا، منعطف لا يليق بي كـ ليبي مقيم في ليبيا. خرجتُ من بيت أبي ونزلتُ السلم مرةً أخرى. لم أخبر أمّي بخروجي. لبستُ حذائي ونزلت. كانَت ليلة حارة من ليالي يوليو. المحلات في وسط البلاد مقفلة أو شبه مقفلة. وقفتُ أمامَ سينما الزهراء، نظرتُ إلى ملصقات الأفلام: فيلم لـ فاندام من انتاج منتصف التسعينات وأخر لـ جاكي شان من انتاج الثمانينات. تبًا، هذهِ الأفلام الاستهلاكية ترهقني. على كلٍ هذه لا تعتبر دار سينما. هي في الواقع قاعة واحدة تقدمُ أفلامًا مقرصنة منقولة على قرصين صلبين وفي منتصف الفيلم، تزرقّ الشاشة وتكتب في منتصفها "بليز انسرت ديسك 2"، فننتظرُ عشرَ دقائق أو أكثر، حتى يقف أحد الجمهور ويذهب للعامل في شباك التذاكر، فيصعد الثاني إلى غرفة الأفلام ويقومُ بتغيير السي دي. كنتُ من الرواد المقيمين في السينما أيام المدرسة الثانوية. نهربُ من المدرسة ونشتري البذر والسامينسا الكحلة والسجائر والعصائر ونجلسُ في دار العرض حتى منتصف النهار ثمّ نعود إلى بيوتنا. سلّم عليّ عامل الشبّاك وسألني عن أحوالي. أعرفهُ جيّدًا ولا أطيقهُ. كانَ يحلّ مكان صديقي "وائل" في المناوبة الليلية. وائل هو الأخر لا يطيقه ولكنه قريب صاحب السينما. في الواقع، هو لا يطيق السينما عمومًا. ربما وائل هو الصديق الأخير المتبقي لي من فترات الطفولة. كانَ مهووسٌ بالسينما، وعندما تعرفتُ على جيمس، كنّا سويةً، إلاّ أنّهُ لم يحضر كلّ الليالي معنا بسبب والده المتشدد والمتعصّب، والذي يشكُ في كلّ شي يراهُ في ابنه. قبلَ أربع سنوات، حينَ كنتُ أهربُ من المدرسة رفقة وائل، كنّا نراهنُ على مستقبل دور السينما في ليبيا. كانَ مؤمنًا أنّ سينما الزهراء يجب أن تعودَ إلى سابق عهدها. دار عرض مشهورة في فترة الانكليز، روادها من أناس الطبقة الوسطى. نساء بفساتين وردية فضفاضة ورجال بسراويل قماش وجاكيتات كحلية، وأن يعودَ اسمها إلى سابقه.. سينما "أوديون". كنتُ أسخرُ منهُ، فقد كنتُ في ذاكَ الوقت ليبيًا صلبًا لا يفهم معنى كلماته الغريبة، بينما كانَ هو مختلف عنّي وعن الجميع. كانَ مغموسًا بأكملهِ كخبز داخل صحن السينما. يقضي معظمَ أوقاتِ يومه في مشاهدة الأفلام. يحفظُ أسماء الممثلين والمخرجين ويفضّل مشاهدة الأفلام المستقلة أو أفلام السبعينات أو أفلام الأبيض والأسود. حينَ تعرفنا على عالم الانترنت في العام 2003، كنّا نذهبُ سويةً إلى

كافي انترنت ونكتري جهازًا واحدًا لمدة نصف ساعة، ونبدأ في الشجار حولَ المواقع التي نودّ الدخول لها. كنتُ أريدُ مشاهدة صور البورنو بينما كانَ هو يودّ قراءة عروض الأفلام الجديدة في السينما الأمريكية. كنتُ أميلُ بدوري إلى عالمه، ولكنني كنتُ حائرًا في كيفية الدخول له، فهو منذ صغره يعشق السينما الغربية والأفلام، ورغمَ أنّني قرأت العديد من القصص والروايات، إلاّ أنّني لم أراها سوى مصدر للتسلية، خاصة وأنّني في سنوات من طفولتي ومراهقتي أدمنتُ قراءة القصص التصويرية، وأتذكرُ بأنّني في سنّ السابعة عشر بدأت بتقليب صفحات المواقع لقراءة الكوميكس باللغة الانكليزية. وائل متفوق دائمًا في اللغة الانكليزية، كانَ يدرّسني هذه اللغة وكنتُ أشاهدُ رفقته الأفلام الأمريكية دونَ ترجمة، وحينَ اكتشفت مواقع الكوميكس والكتب على صفحات الانترنت، اضطررت للبدء في الاجتهاد في تعلم اللغة الانكليزية، وبسرعة أحببتها وصرتُ ووائل نحدّث بعضنا البعض بالإنكليزية، فأعجبتنا هذهِ اللغة وصرنا نناقش مواضيع فنّية بهذهِ اللغة التي سحرتنا، وكلما شاهدنا فيلما أو قرأنا كتابًا، كانت تطلعاتنا تكبر ومداركنا تتسع فصرنا نجلسُ في صالون بيته بعدَ مشاهدة فيلم ما ونبدأ بالتحدّث عن المشاكل السياسية في العالم. الأفلام الأمريكية السبعينية فتحت أعيننا على تاريخ أمريكا، والأفلام الانكليزية فتحت أعيننا أمامَ التاريخ البريطاني القديم والحديث، والأدب الفرنسي فتح مداركنا أمامَ الثقافة الفرنسية، وبدأنا نشبّه أوضاع أوروبا بالتاريخ والسياسة الليبية. يا إلهي، كانَ نتاجُ ذلك أنّنا ادركنا أخيرًا أنّنا نقبع تحت نظام سلطوي قمعي وديكتاتوري. فوجئنا بهذا الاستنتاج، وسهرنا ليالٍ طوال في التحدّث عن السياسة الليبية وزيارة مواقع المعارضة الالكترونية. كنّا كمن كانَ نائمًا فترة طويلة من عمره، ليتلقى في الأخر صفعةً على الوجه فيستيقظ ليرى أنّهُ في عالم أخر غير ذلكَ الذي كانَ من المفترض أن يتواجدَ فيه.

***

سينما الزهراء أو الأوديون كما كانت تسمّى، تقعُ في قلب المدينة. في شارع "أول سبتمبر"، "الرابع والعشرين من ديسمبر" في فترة المملكة الليبية. تقعُ السينما مقابلةً لمدرسة التحرير الاعدادية، وقد بنيت في عهد الطليان، وكل ما فيها من صالة عرض وشباك تذاكر وحيطان يشير بأنّها بنيت لتكونَ سينما، رغمَ أنّ الحكومة جعلتها بالإضافة إلى ذلك قاعة لما أسمته "المؤتمر الشعبي الأساسي". ذاتَ يوم، بعدَ منتصف الليل، أقفلَ وائل السينما ودخلنا إلى صالة العرض. وضع سي دي فيلم بورنو وجلسنا على مقعدين بعيدين. كانت تلكَ أولَ مرة أشاهدُ فيها فيلم بورنو على الشاشة الضخمة. بعدَ أن فرغنا من الاستمناء، اقترحَ وائل افتتاح سينما أفلام خلاعية بعدَ منتصف الليل تقتصر على الأصدقاء الأجانب الذينَ تعرفنا عليهم عن طريق جيمس وصديقتاه. "في أوروبا وأمريكا، تنتشر سينما الأفلام الخلاعية، وقد باتت جزء من تقاليد الهيبيز وجيل الستينات والسبعينات. لم لا نقومُ نحنُ بذلك هنا؟" أعجبتني الفكرة، وعلى الفور اتصلنا بـ جيمس وأخبرناه بالفكرة. "غاااايز، كام آن، دي اس از آ باد آيديا"، "بل على العكس يا جيمس، هذهِ

فكرة رائعة جدًا، أنتم تحبون ذلكَ في أمريكا... سيكونُ الأمر ممتعًا، اتصل بجماعتك الأمريكان، أنت شاب فاكد اب، أصدقائك الصايعين سيحبون الفكرة".

"اسمعا يا رفيقَي"، قال لنا جيمس في اليوم التالي عندما التقينا في كافي ماركوس بالمدينة القديمة "أمريكا ليست كما تتصورون، العشيقان مثلي ودايانا مثلاً لا نذهب إلى السينما الخلاعية لمشاهدة افلام البورنو، هذهِ تظلّ عادة غبية ومحرمة عندَ فئة كبيرة من المجتمع. المهلوسين جنسيًا والمدمنين فقط هم الذينَ يذهبون للسينما الخلاعية. أظنّ حسبَ عملي في السفارة أنّ لا وجودَ لهذا الصنف من الأمريكان في ليبيا".

في المساء، كنتُ أقفُ ووائل على الكورنيش، "نحنُ أغبياء يا وائل، لقد كنّا مضحكة أمامَ جيمس، بالفعل، نحنُ لا نفقهُ شيئًا في الثقافة الأجنبية، لأنّنا لم نعبر هذا البحر اللعين إلى أوروبا. لو كنّا هناك، لفهمنا ما قالهُ لنا جيمس ظهيرة اليوم". "دونت سي ذات دوود" قالَ وائل وهو يمسكُ بحجرة ويرميها بشكل مائل على سطح الماء، فكونت سربًا من الدوائر الصغيرة. "نحنُ سنذهبُ يومًا إلى أمريكا بمساعدة جيمس، لا تقلق أبدًا... كلّ شيءٍ سيكونُ على ما يرام... ولا تنسى أنّنا نتحدّث الانكليزية جيدًا".

***

ينزلني سائق التاكسي عندَ منطقة الظهرة، مقابلاً لمدرسة الشعلة الاعدادية أتمشى قليلاً في الشارع الرئيسي ومن ثمّ أنحني يسارًا داخلاً شارع السفارات ماشيًا فيه على مهل. رجال الأمن ينظرون لي بخوف وخلع، وعوضًا عن الاقتراب منهم، أقومُ بالتقدم لهم وأبرز ابتسامة عريضة على وجهي وأقولُ: "غود ايفينينغ سير... آي ويش يو هافينغ ساتش آ لافلي ايفنينغ"، أتركُ الحراس غارقين في محاولة فكّ لغز الكلمات المتقاطعة وأكملُ طريقي. أصلُ إلى ميدان الكاتدرائية "ميدان الجزائر". أتوقفُ هناكَ كعادتي وأرفعُ رأسي إلى الجامع العالي، ثمّ أغمضُ عينايَ للحظة وأتذكرُ أنّهُ كان في الماضي "كاتدرائية طرابلس"، ثمّ تحولَ إلى مسجد بعدَ طرد المواطنين الليبيين من أصولٍ أجنبية خارج البلاد، وكسر في عليّة الكاتدرائية طرف الصليب الذي يمثّل الابن والروح القدس، لتسمّى في دائرة الأوقاف باسم "جامع جمال عبد الناصر"، وظلّ الاسم المتنقل بينَ ألسنة الناس "جامع الكنيسة". تبًا، هذهِ الكاتدرائية كانت جزءًا في قلب هذهِ المدينة. أنظرُ إلى يميني حيثُ ساحة كبيرة كمقهى وسطَ عمارة يجلسُ فيها شباب ورجال وأدباء يسمونها "مقهى الفجر"، وقد كانت قبيل القذافي "بار أورورا"، والتي تعني الفجر بالايطالية، ولكن لأنّ حكومة العساكر قامت تحتَ خانة العروبة واللغة العربية، فبالتالي ترجم الاسم إلى الفجر. بنيت هذهِ الحانة كي تصير حانة، حتى أنّ أعظمَ كتّاب ليبيا في الستينات كـ علي مصطفى المصراتي وعبدالله القويري وكامل المقهور كانوا من روادها، وكانَ الصادق النيهوم يأتيها ليسكر في زياراته المتقطعة إلى العاصمة. يحكى أنّ ذاتَ يوم

خرجَ رجل سكران من بار أورارا يسبّ ويشتم القذافي وثورته. وقفَ في ساحة ميدان الجزائر وظلّ يبصق ويلعن ويسبّ القذافي، بعدَ ذلكَ بأيام أقفلت كل بارات ليبيا وحرمَ شرب الخمر. على الجانب الأيسر من الميدان يوجد مبنى البريد، هو منذُ أن صمم وبنيَ كانَ بهدف أن يكونَ مبنًا لخدمات البريد والهاتف، وظلّ كذلكَ إلى اليوم.

أسيرُ ببطء، أدخل شارع هايتي، أتأملُ العمارات الطويلة المبنية على الطراز الايطالي في عهد "أيطالو بالبو" حاكم ليبيا بعدَ فترة حكم غراتسياني الفاشي، انعطفُ يمينًا في تقاطع الشارع مع شارع "أول سبتمبر" وأصلُ إلى سينما الزهراء حيثُ أجدُ وائل واقفًا أمام الباب يراقبُ ما حوله. أرفعُ يدي لأحيّه، يبتسم فورَ رؤيتهِ لي. دائمًا أشعرُ بنوع من السعادة ينتابني لدى رؤيتي لـ وائل، حتى وان كنتُ قد فارقته لساعات قليلة فحسب. "هاي وائل... انتظرناكَ البارحة، لماذا لم تأتي؟ سكرتُ طويلاً رفقة جيمس ودخنّا حشيشًا صافيًا وأعتقدنا أنّكَ ستعود إلينا".

"لم أستطع، كانَ عليّ الاستيقاظ مبكرًا للذهاب إلى الكلية، ثمّ مظهر جيمس وهو يدخل بالماروكية والأفريقية في شارع كيندي لينكهما كانَ مقززًا، مالذي يجعل جيمس ينيكُ قحاب وسخات وهو يمتلكُ فتاةً جميلة مثل دايانا؟ عندما أدركتُ بأنّهُ جاد في دخولهِ بالقحاب، قررتُ الذهاب إلى البيت والنوم، لم أكن قادرًا على العودة رفقتكما واكمال السهرة.. يا إلهي... إنّهُ امريكي مقزز... هل كلّ الأمريكان هكذا يا محمد؟".

***

أحكمَ وائل اغلاق باب السينما، كانت الساعة التاسعة مساءًا. لا زلتُ وقتها أشعرُ بكفخة افراطي في الشرب ليلة البارحة. كانَ الطقسُ جميل. أسيرُ رفقة وائل وأيدنا في جيوبنا. نقررُ فجأة الجلوس في مقهى السنبلة لشرب القهوة، قبلَ ذلك توقفنا عندَ مطعم في شارع هايتي يقدّم سندويتشات كبدة. أكلنا السندويتشات بسرعة وشربنا بيبسي ومن ثمّ خرجنا إلى الشارع وسرنا ببطءٍ إلى مقهى السنبلة. هناك جلسنا على كرسيين بلاستكيين وأخرجنا علبة سجائر مالبورو وبدأنا نشرب القهوة على مهل ونستمتعُ بحرق سجائرنا. عن ماذا كنّا نتحدّث وقتها؟ لم أعد أدري، لكن ما أستطيع استيعابهُ الأن، أنّنا لم نكن نتحدّث في السياسة ولا السينما ولا الفلسفة ولا جيمس وصديقاته. ربما كانَ شيئًا عن ذكريات قديمة أو أصدقاء قدامى. مقهى السنبلة هو المكان الأفضل للتحدّث حولَ ذكريات الماضي. كنّا نجلسُ هنا أيام الصياعة ومصاحبة العاطلين والليبيين المكسدين. مقهى السنبلة هو البالوعة التي تجذب معظم شباب مدينة طرابلس، من الصيّع وأولاد المنطقة الشرقية وحتى شباب المدرسة الأمريكية، لهذا نسمّيها بالوعة. معظم من تواجدوا ذلكَ المساء كانوا من الأصدقاء القدامى، وبما أنّنا كنّا جالسان في الداخل، فلم نلتقي بعد

بأصدقائنا الحقيقيين الذينَ يهوون تدخين الأركيلة، ربما لهذا السبب فضلنا الجلوس في الداخل يومها.

"أهلا أهلا أهلا" جاء صوتٌ من ورائي لم أستغرق وقتًا في التفكير من يكون "من زمان معش شبحانكم يا اولاد! وينكم، ولا الي شاف العسل انسي صنت البصل؟"

"شن الجو يا ماوكلي؟" وقفنا وسلمنا عليه. كنّا نسميه ماوكلي منذُ أن كانَ طفلاً. شعرهُ طويل وبشرتهِ سمراء ويبدو من حركاته وتفكيره وطريقة معاملته انّهُ انسان بدوي كالذي نقرأ عليه في كتب التاريخ، والمسمّى بـ الانسان القديم "أحني دائما موجودين في المدينة، وكل ما نسألوا عليك يقولوا في الجديدة" الجديدة اسم سجن طرابلس. هناكَ يجتمعُ الصيّع والسياسيين والسفاحين. الجديدة هو السجن الأكثر خطرًا على الاطلاق في ليبيا كلها.

"شن قصة الجماعة الأمريكان التي تتكّوا عليهم اليومين هادوماي؟" قالَ وهو يسحب كرسيًا من طاولة مجاورة دون استئذان وأخذَ مكانًا بيننا "قصدي انتم ناويين تنصبوا عليهم ولا شن؟ لو ناويين، معناتها خوكم ماوكلي لازم يخش في دين أم الصفقة".

"لا يا ماوكلي، مانفكرش ننصب على الجماعة، هادوماي صحابي وبيني وبينهم خبز وملح". قلتُ وأنا أدعو الله أن ينهض الماوكلي ويتركنا في حال سبيلنا. أضافَ وائل "هادوماي جماعتنا يا راص، وقصدي الجماعة محترمين ومافيش بيناتنا مشاكل ومش ناويين انديروا مشاكل، وجو النصب سيبناه من زمان، من أيامات مايكل الأفريقي".

"هاهاها" أطلقَ ماوكلي ضحكة كالتي يطلقها شريخان في المسلسل الكرتوني. لماذا أسميناهُ ماوكلي، كانَ ينبغي أن نسميه باغيرا.. أوه لا، لا يمكننا ذلك، الصادق الأسود نسميه باغيرا لأنّهُ أسودَ البشرة "اسمعوا يا أولاد" قالَ ماوكلي وهو يسحب سيجارة من علبة المالبورو الخاصة بي "انتم تغيرتم، انتم الاتنين تغيرتم ومعش ولّينا نعرفوكم، وهذي مش مشكلتي، لكن أني نبّي نعرف من هو الولد البعيّص الّي اتبعوا فيه.. الولد الأمريكاني" انه يقصد جيمس دونَ أدنى شك. نسيتُ اخباركم أنّ ماوكلي أحد الخبراء في نيك الأطفال. أقولُ لـ وائل والأصدقاء أنّنا محظوظون لعدم الوقوع على حجر ماوكلي ونحنُ صغارًا. ماوكلي يحبّ الأطفال. يشتري لهم الحلوة ويدخلهم احدى الريفودجوات المخصصة للسيارات في عمارة ما في ليلة ما، يخلعُ لهم سراويلهم ويضعُ زبهُ داخلهم. لعلّ معظم الشباب في أعمارنا والمتواجدون حولَ الطاولة يومها كانوا من روادهِ وهم صغار.

مجلة
المقتطف

آفاق السّرد

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

"ماوكلي! صديقنا الأمريكاني يخدم في السفارة الامريكية، يعني دبلوماسي، وأي غلطة منك حتحطك في الجديدة عمرك كله" قالَ لهُ وائل، إلاّ أنّ ماوكلي وقف من على كرسيه ووضعَ علبة المالبورو الخاصة بي في جيبه وقال "غدوة، غدوة نتلاقوا في نفس المكان أهني الساعة الستة ونمشوا مع بعض لصاحبنا الأمريكاني" ثمّ غادر باتجاهِ الباب المؤدي إلى حديقة المقهى ليلتقي جماعته.
شعرتُ بنوعٍ من الغضب والسخط، ولو كانَ بيدي لمسحت الأرض بجسد ماوكلي، ولكنّي اعرف أنّهُ ليس باستطاعتي فعل ذلك. أعرفُ أيضًا، كما يدرك وائل أنّنا ان لم نأتي مساء الغد لأخذ ماوكلي معنا فإنّهُ بذلك سيحرمنا من البقاء في وسط البلاد أو حتى الاقتراب منها. لقد استطاعَ ماوكلي أن يترأس الشارع وأن يزرع أعوانهُ في أرجائها وأي خطوة نقومُ بها فإنّهُ على علم بها. إنّهُ فورتية، والفورتية تعني رئيس، ماوكلي فورتية وسط البلاد رغمَ أنّهُ على صراع مع باقي الفورتيات، كـ أشرف الجبنة وأولاد الوحشي وغيرهما من أصحاب السوابق.

***

خرجنا من المقهى وقطعنا الطريق إلى كراج الخطوط الليبية، ومن هناك اشترينا كيس بوخة وسكبناهُ في علبة مياه بلاستيكية فارغة "كُفرة" لتر ونص، وأضفنا عليها نصف علبة سيفن آب وعدنا أدراجنا تلقائيًا إلى السينما. أعدّ وائل صالة العرض، قالَ لي ونحنُ نسيرُ إلى السينما أنّ هناكَ فيلمًا للأخوان كوين يدعى "بارتون فينك". قالَ أنّهُ فيلم يستحق المشاهدة وأنّ جيمس نصحهُ بذلك.
صببنا كأسين من البوخة وأعددنا لفافات الحشيش وأطفأنا الإضاءة شوط من البوخة، اثنان، ثلاثة.. اشعال لفافة، اثنين، شوط بوخة، لفافة.. تشغيل الفيلم... كأس، لفافة، حبسنا دخان الحشيش في كوب فارغ، دختّاهُ، شربنا كأسين أخرين، الفيلم يدخل مرحلةً شيّقة. ضحكنا كثيرًا على بعض المشاهد، الكاتب العجوز كانَ نموذجًا للكاتب الفاشل، اتفقنا أنّ شخصيته تعبّر عن الأدباء الليبيين. لفافة أخرى. نفذَ الحشيش، فرغَت القنينة. انتهى الفيلم. الشعور بالجوع. الخروج لأكل سندويتشات الكبده... أدركتُ عندما طلعَ الصباح على المدينة، أنّ هذا الفيلم كانَ رائعًا، اتفقتُ ووائل أنّ الفيلم كان ممتازًا، أمّا البوخة والحشيش، فلم يكونا كذلك.

***

لم أكن قادرًا على العودة للبيت في الصباح، وأعرفُ أنّ جيمس نائم. نمتُ في غرفة الكونترول في السينما. هناكَ فراش على الأرض ومروحة وغطاء قماشي ووسادة. ينامُ وائل هنا أحيانًا. هناكَ العديد من كتب تعلّم اللغة الانكليزية بجانب الفراش، هناك قواميس وكتب حولَ سينما هوليوود وسينما الكاوبوي. على الحائط ملصقات لأفلام أبيض وأسود. هناكَ بوستاران كبيران لـ فيلمي "بولب فيكشن" و"سينما باراديسو". وائل يحب هذان الفيلمان، ولطالما جلسنا في قاعة العرض وبكينا في نهاية فيلم سينما باراديسو، لطالما شعرَ وائل أنّهُ يشبه سالفاتوري، عامل السينما الذي يريدُ أن يصيرَ مخرجًا سينمائيًا. وائل يقولُ لي أنّهُ يملكُ الحلم، ويمتلكُ ادارة السينما، ولكنهُ لا يملك

ايلينا، الفتاة التي يحبها سالفاتوري، وأضافَ أنّ الحب هو دافع الانسان الأساسي للهرب من البلد من أجل تحقيق أحلامه. وائل تراجيدي بعض الشي، يريدُ أن يكونَ عاشقًا محطمًا لأن الحطام سيدفعهُ لتحقيق أحلامه. "دراما كوين"، سيقول لي جيمس عنه ذات يوم فأعجبتني الصفة. ابتسمتُ وأغمضتُ عيني.

فصل من نص سردي قيد الكتابة. شمعة لذكرى الأصدقاء القدامى: فارس خليل، ابعيشو،محمد التكالي منير عصيدة، ابراهيم بوعزّة، محمد سويسي... وجاد الصاري.. عام مضى يا رفاق، وكما قال الشاعر عبدالرحمن الشرع في تأبين الفنان التشكيلي عبدالعزيز الغرابلي (الذي توفيَ في سجن القذافي السياسي): جبل على قلب رحيلك.. يا صديقي.

محطّة وقوف الحافلة التي لا تتوقف!!

محمد النعاس

الآن أستطيع رؤيةُ كل شيءٍ أمامي، أستطيعُ سماع كل شيء... منذُ دقائق فقط لم أكُن أعي ما يدور حولي، لقد دخلتُ في دوامةٍ مِن الأفكار، لم أغُب عن الوعي، ولكنّ الوعي غاب عنّي، كُنتُ منذُ قليل أرى ما يراهُ عقلي، أسمعُ ما يسمعُه، رأيتُ عامود الإشارة الضوئية الممتثل أمامي رجلاً طويلَ القامة واقفاً في المطر تحت مظلةٍ لم أحدّق في ألوانِها كثيراً، هذا لأنّ الرجل قد اختطفني بنظرةٍ تحملُ مِن شرارات الغضب ما تستطيعُ تبخير مياه المطر المتساقطة، وقف أمام العمود مُدّةً لا بأس بها وهو يُحملقُ بي، لم يأبهُ بتغيرِ ألوانِ الإشارة عدة مرات وتكرر العملية مرةً بعد مرة، في حقيقةِ الأمر لم استطع أن أبادله نفس الحملقة، كُنتُ أكملُ تدخين سيجارتي المبلّلة تحت سقفِ محطة وقوف الحافلة التي لم تقف بعد لالتقاطي بعيداً عن هذا المكان، كُنتُ أختلسُ النّظر إليه أحياناً قليلة فأجِده واقفاً بلا حراك كالصنّم...!، كتمثالِ سبتيموسْ النّائم تحت هذه الأرض.

تغزو المكانُ بعض العتمة، وبالرغم مِن وجودِ بعض عواميد الإنارة المشتعلة صعقاً على جانبيْ الطريق، لم تكُن كلّها دائمة الإضاءة، بل إنّ بعضها كان يسترقُ بعض الراحة نتيجةً لغيابِ الرقيب، ذاك الرقيب الذي سرق الراحة هُو أيضاً!،و بعد مُدّةٍ مِن الزّمن بدأ في التّحرُكِ خطوةً تلو الخطوة نحوي!، كُنتُ أرتعد في داخِلي، بل كُنت مُتأهبٌ للجريْ مسرعاً إلى البيْت رغم هجوم الأمطار الغزيرة، حاولتُ أن أتمالك نفسي، بدا على تصرفاتِي الارتباك، لا ريْب أنّه اكتشف أني مُرتبُكٌ جداً بل أنّي مُرتعدٌ جِداً!!...

وصل إلى الرصيف حيثُ أنا، واقترب بضعُ إنشاتْ مِن محطّة وقوف الحافلات التي لا تقف، سلّم عليْ، وقال لي وأنا أحاولُ أن أكتُم ما يخالجُني مِن مشاعرٍ اتجاهه، قال لي أنّهُ يريدُ قدّاحة لإشعال سيجارة!، أخرجتُ القدّاحة بسرعة وبارتعاشٍ واضح وسلّمتُها له، بل أشعلتُ لهُ سيجارته!.. بعد أن أشعل السيجارة، جلس بجانبي واتكأ على المقعد وأخرج ضحكةً تصوّرت في نفسي كأنّها ضحكة الشيطان، ذلك الشيطان الذي يظهرُ في أغلبِ أفلامِ الرُّعب... تلك الضحكة التي تُترجمُ في شاشة التلفازِ بـ " بُواهاهاها!! "، ولكنّ لحظاتٍ قليلة وتغيرت ضحكةُ الرجل في سمعي وتبدّلت إلى ضحكةٌ عادية بها بعضٌ مِن كبرِ السن!. اكتشفتُ مِن الضحكة أنّ الرجل طاعِن في السّن، غريبٌ هذا الشعور، لم أشعر بأنّه رجلٌ طاعِن إلا الآن، كُنتُ أحاول أن أتجنب النظر إلى

ملامِحِ وجهه، ولكن ها هُو صوته يدل على صوتِ عجوز، رُبما في الستيناتِ مِن عُمرِه!.نظرتُ إلى وجهه مُحاولاً أن استكشف من وراء هذه القعقعة البشرية. كان مُتشقق الوجه، حليقُ اللحية ذو شاربيْن كبيرين قليلاً، عينان تُحيطُ بهما نظارتان واسعتان وأنفٌ مُفلطح ليس كأنفِ فيل!.

لا تتعب نفسك، لن تأتي الحافلةُ الليلة!. قال الرجُل ساخراً من انتظاري.

كيف عرفت ؟. قُلت.

أعرفُ لأنّي كُنتُ أنتظِرُها هُنا مُنذ أكثر مِن أربعين عاماً!، وصدقني لم تأتي حتى الآن!

[ماذا يُخرّفُ هذا العجوز ؟، أربعون عاماً مِن الانتظار ؟، لا بُدّ أنّ السيجارة قد أكلت ما تبقى مِن عقله. خاطبتْ نفسي نفسي!]. أربعون ؟!

نعم، أربعون... ما الغريبُ في ذلك ؟. قالها العجوز بثقة.

[لا شيء غريب، سِوى كل ما قُلته. تمتمتُ بها مراقباً العجوز بحذر].

سكتت الأمطارُ، فسكت العجوز قليلاً ورفع بصره نحو السماء مُتلمساً غيمةً ما رُبما أو مراقباً للأجواء الشتوية ثُمّ نهض وقال لي بصيغة الأمر انهض سنمشي على الأقدام، أسرع قبل هطولِ المطر مرةً أُخرى. نهضتُ نفثتُ آخر أنفاسِ السيجارة التي بيدي وألقيتُ بها على الطريق. ومشيْنا طُول الطريق لم يُكلّم أحدُنا الآخر أبداً، لم اسأله عن اسمه، عُمره أو سبب ضحِكِه!. لم أنظُر إليْه حتى وصلنا إلى منزلي، حاولتُ أن أتخلّص مِنهُ قائلاً له :

إذن!.

إذن ماذا ؟، سأدخُل معك المنزل. قالها والكحّة قد أكلت بعض حروفِها.

و لكن ؟. قلت وإشارات الاستفهام تتطايرُ مِن فوق رأسي.

و لكن ماذا ؟، أعلمُ أنّك تعيش هُنا لوحدك.

[أعلم ؟، من هذا العجوز ؟]. تعلم ؟. قُلتُ لهُ بنبرةٍ خائفةٍ قليلا. [ما هذه الليلة الغريبة ؟، هل هُو تأثير السيجارة ؟. ولكن السيجارة لا تفعلُ ذلك!. إذن هُو تأثير دقائق الانتظار!، خير اللهم اجعله خير].

تجاهل العجوز سؤالي قائلاً لي :

على كُلٍ، لن أقعُد عندك كثيراً فقط أريدُ أن أحادِثُك في بضعةِ مسائل.

وافقتُه على الأمر وعلامات التعجب والاستفهام لم تُغادِر عقلي، دخلنا إلى المنزل، وصدر صوتٌ مِن غرفةِ المعيشة، أعتقدُ أنّه صوتُ التلفاز مُجددًا، دائماً أنسى كل شيءٍ مُشتغل، الضوء، التلفاز، كل شيء!. كان هُنالِك طاوِلة بكرسيين وبضعةُ أشياءٍ كثيرة فوق الطاولة، فاتورة الكهرباء، ورسائل البريد، والحاسوب المحمول، وبضعةُ كُتبٍ، وفنجانُ القهوةِ الكبير.و بالطّبع صحنْ صغير مليء بالسجائر الميّتة. جلس العجوزُ على أحدِ الكرسييْن. سألتُه :

مجلة المقتطف

آفاق السّرد

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

ليس لديْ إلا قهوة ؟!.

بدون سُكّر.

الحمدُ لله أنّه لم يقل [بسُكّر] وإلا توجّب عليْ أن أخرُج إلى المحل المجاور لأشتري بعضه.أشعلتُ الغاز، لم يرد الاشتعال في البِداية. كان عليْ أنْ أفرّغ بُكرجُ القهوة مِن قهوة الصّباح مُحاولاً أن أكون كريما. غسلتُ البُكرُج. ملأته ماءً. وضعتُهُ على الغازِ. قال لي الرجُل مِن الغرفةِ المجاورة [لا تُفرِغ البُكرُج مِن قهوةِ الصبّاح!!].[ماذا ؟، قهوةِ الصباح ؟، هل دخل هذا الرجُل إلى منزلي في عملي ؟، ولكن كيف يمكنه لا يُمكنه ذلك!. إذاً هل هُو جان ؟، أم هل أنا أتخيّل وجود رجلٍ عجوز طويل القامة بنظاراتٍ واسعة شرِهِ التّدخين معي في المنزل ؟. خير اللهم أجعله خيرا!].

أضفتُ القهوة إلى البُكرُج مُتجاهِلاً أوامِره. تركتُها قليلاً حتّ تغلي. شربتُ كوباً مِن الماء وغسلتُ وجهي لرُبما أستيقظُ مِن هذا الحُلمِ الغريب، وصوتُ تصفيرٍ قادمٌ مِن البُكرج. أطفأتُ النّار. وضعتُ البُكرُج وفنجانيْن مِن القهوة على صحنٍ نُحاسيْ مُسّطح. لم يكُن العجوز موجوداً بجانب الطاولة. لم يكُن هُنالِك أيْ شيءْ سِوى ورقة جديدة على الطّاوِلة!. وضعتُ الصحنُ على الطّاولة. وأمسكتُ بالورقة وقرأتُ ما بها. كانت تتكون مِن كلمتيْن فقط [اترُك التّدخين وإلا!]،و إلا ؟، فُزِعت، هرِعت، ارتجفتُ وسقطت الورقة مِن بين يديْ، وسقطتُ جالساً على الكُرسيْ لكيْ أرى نفسي على كُرسي محطّة وقوف الحافلة التي لا تتوقف!

مجلة
المقتطف

مرفـــء

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

بمناسبة الذكرى الـ 49 للزلزال الذي كاد أن يقضي على مدينة المرج في عام 1963م
صورة للصفحتين 16 و 17 من مجلة الجندي البريطانية، وصورتين أخريين من مكتبتي الخاصة
نشرتهما في آخر المقالة

الغلاف:
مجلة الجندي البريطانية – أبريل 1963 (السعر شلن واحد)
SOLDIER
April 1963 * One Shilling

داخل المجلة:
الصفحتان 16 و 17 مؤطرتان بإطار أسود عريض يدل على الحدث المأساوي لمدينة المرج،
يتوسط الإطار عنوان بالخط العريض كالتالي:
بين أنقاض الدمار الكامل.. يقوم الجنود البريطانيون بالبحث عن الأحياء في..

المدينة التي ماتت

ترجمة وتقديم: يونس الهمالي بنينه
نيوبورت – بريطانيا 2012.2.21

الترجمة:

تساقطت قطرات الأمطار الغزيرة من وريقات أشجار اللوز المزهرة، ودوت قرقعاتها على سطوح تلك البيوت العربية البالية المتهلهلة ، بينما كانت النساء يقمن باعداد وجبة الإفطار في أحد أيام شهر رمضان. كانت عقارب ساعة المدينة تشير إلى الساعة 7.18 مساءً، ثم.... وبدون إنذار... زلزلت الأرض زلزالها – فارتعشت تلك المدينة الليبية الزراعية التاريخية رعشات الموت.

انهارت المرج وكأنها مدينة صُنِّعت من ورق اللعب1 عاجزة عن الوقوف ضد تلك الهزات الأرضية العنيفة، فانسحقت مئات من العائلات تحت الأنقاض، وكثير منها وجدت نفسها محاصرة اختنقت انفاسها تحت وابل من الصخور المتهاوية. أما أولئك الذين تمكنوا من النجاة بأنفسهم فقد هربوا بخطى متعثرة مرتبكة، يركضون كالعميان لا يرون ما أمامهم، فقط ليفتحوا لأنفسهم طريقاً هرباً من هذا الدمار.

يالها من طبيعة قاسية، فقد اختارت أسوأ الأوقات على الإطلاق، حيث كان أغلب سكان (المرج2) Barc داخل بيوتهم وقت الزلزال ينتظرون أذان الإفطار بعد يوم طويل من الصيام، عندما ضرب الزلزال المدينة، فجعل من كل بيت كومة من الدمار دفنت تحتها عائلات بكاملها. خلال دقائق معدودة أصبح أكثر من نصف سكان مدينة المرج الذين يبلغ عددهم 17,000 نسمة بدون مأوى. فقط المباني الحكومية الحديثة والكنيسة تمسكت بقواها وظلت واقفة، وحتى هذه تصدّعت بشكل كبير.

بعد ساعتين من الهزة الأولى وصل الجنود البريطانيون ملبيين النداء بعد سماعهم طلب النجدة، فغادروا بنغازي التي تبعد حوالي 60 ميلاً من مدينة المرج للمساعدة في عمليات الإنقاذ.
كان أول من وصل إلى المكان هم جنود السرية (ج) التابعة للكتيبة الأولى (فوج ديفونشاير ودورسيتDevonshire & Dorset). حيث وصلوا إلى المدينة المنكوبة في الظلام الدامس يواجهون زخات المطر العنيفة والعواصف الشديدة. انقسموا إلى فرق بحث، كل فرقة يتكون أفرادها من أربعة أو خمسة رجال.

باشر الجنود في أداء مهمتهم المروّعة باخراج الجرحى والموتى من تحت الأنقاض بمساعدة أضواء مركباتهم ذات حمولة الربع طن، فكانوا يستخدمون البالات والفؤوس بين صرخات وتأوهات النساء اللاتي كن يبحثن عن أطفالهن وأزواجهن.

تم نصب مستشفى ميداني اضطراري خارج المدينة، حيث يتواجد هناك فريق من ثلاثة أطباء عسكريين تابعين للقوات الملكية، وبعض من المصابين الذين تم نقلهم فيما بعد إلى المستشفى العسكري البريطاني في بنغازي. أمّا "النموس" وهم فرسان الكشافة الملكية الرابعة عشرة وكذلك العشرون فقد وصلوا إلى المدينة بسرعة، وبدأت مركبات الفصائل المستقلة 43 ومركبات فيالق الخدمات العسكرية الملكية في عملها المتواصل في رحلات مكوكية متواصلة ، تجوب الطريق بين المدينة والمطار لجلب الإمدادات.

أيضاً، تم إقامة مركز للحالات المستعجلة في بنغازي للتنسيق بين مراكز الأسعاف البريطانية والأمريكية والليبية، وباشرت فرقة الإشارة 245 بتنسيق عمليات الإتصال بين المركز ومدينة المرج. وكانت المدينة التي ترزح تحت الأنقاض في حاجة ماسة إلى البطاطين والخيام والأمدادات الطبية، والأغذية والكهرباء ورجال الإنقاذ، وعليه قامت القوات البريطانية بعد خمسة ساعات فقط من استلام اشارة طلب النجدة بتوصيل 2000 بطانية ونقالات (باريلات) وخيام وأواني الطبخ.

بانقشاع الظلام وتسلل أولى خيوط الفجر، اتضحت معالم الأضرار التي أصابت هذه المدينة المهوّلة. فبحلول الصباح تم اخراج 100 جثة من تحت الأنقاض، أما الجرحى فقد تم نقل الكثير منهم الى المستشفى. كان المشهد في وسط المدينة مشهداً حزيناً بالفعل ويثير الشفقة، حيث تشاهد كثير من العائلات التي فقدت بعض من أفرادها وهي مشتتة هنا وهناك تتدفأ بنيران تم ايقادها من بقايا حطام بيوتهم التي أودت بحياة ذويهم وأحبابهم، بينما تم نقل جماعات أخرى من الذين أصبحوا بدون مأوى إلى مخيمات اللاجئين التي تم نصبها على أطراف المدينة.

وفي النهار قامت كتيبة ديفونشاير ودورسيت بتنظيم عمليات البحث، إلاّ أن تلك الأصوات التي كانت تقود فرق الإنقاذ إلى الجرحى في الليلة السابقة انقطعت ولم يعد لها صدى الآن. وهكذا خيّم الصمت المخيف على مدينة المرج. لقد كانت عملية البحث مأساوية تقطعت لها قلوب الجنود. ففي أحد المنازل وجدوا جثة إمرأة تحمي أطفالها بذراعيها — إلا أنها وهم... ماتوا جميعاً في الوقت ذاته.

إحدى الفرق العسكرية التي ما زالت تبحث عن الأحياء بعد 36 ساعة من هذا الزلزال القاتل، سمع أفرادها أصواتا وأنين تحت الركام، فاخرجوا كلباً صغيراً تملّكه الرعب، إلاّ أنه أطلقت عليه رصاصة الرحمة حيث وجدوا أن ظهره قد أنكسر.

وهناك ...خارج المدينة المنكوبة كانت مهمة بلدوزر فرقة الهندسة الملكية مهمة مروّعة بالفعل، حيث كان البلدوزر يقوم بحفر قبر جماعي لـ 300 شخص توفوا بفعل الزلزال.

تحركت سرية المشاة – صمرسيت وكورنوول Somerset & Cornwall التابعة للكتيبة الأولى – لدخول مدينة المرج لتقديم مساعدات اضافية، بعد أن تم اغلاق المدينة في وجه الجميع باستثناء فرق الجيش، بعد فرض حظر التجول من المغرب حتى الفجر لمنع عمليات النهب.

آخر فرق الجيش البريطاني التي غادرت المدينة المنكوبة كانت فرقة الإشارة 245، أي بعد أسبوع بالتمام من الهزة الأرضية الأولى. والتي كانت مهمتها تزويد الطاقة الكهربائية للمستشفى الواقع في معكسر الجيش الليبي في ضواحي المدينة، ولكن هزة أرضية ثانية جعلت من المنطقة مكاناً خطراً على حياة المرضى من الجرحى، فتم اخلاؤهم من المستشفى وبذلك انتهت مهمة فرقة الإشارة 245.

ومن بين آيات التقدير والثناء التي تلقاها الجيش البريطاني، كانت كلمة أسقف بنغازي وهو رئيس الكنيسة الكاثوليكية في ليبيا، حيث قال: "إن أعمال الرحمة التي قدمتموها رغماً من الأخطار التي واجهتكم، وتحت المعاناة التي تكبدتموها من جراء ضراوة الطقس، لن ينساه لكم أي إنسان لديه احساس وقلب نابض وعيون ترى. سوف نتذكركم جميعاً في صلواتنا ولزمن طويل".

أماّ الآن فيقوم المهندسون برسم المخططات لبناء مدينة جديدة في موقع آخر، حيث ما تبقى من مدينة المرج لم يعد صالحاً للسكن، فلقد أصبحت الآن مدينة تسكنها الأشباح.

مجلة المقتطف

مرفـــء

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

مجلة
المقتطف

مرفـــء

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

Amid utter devastation, British troops searched for life in . . .

THE TOWN THAT DIED

TORRENTIAL rain dripped from the flowering almond trees and hammered on the flimsy roofs of Arab houses as women prepared the evening meal. In the main square, the hands of the town clock ticked to 7.18 pm. Then, without warning, an earthquake struck—and the ancient Libyan farming town of Barce shook to its death.

Like some grotesque city of playing cards, Barce crumbled and collapsed helplessly in the grip of violent earth tremors. Under a hail of masonry, hundreds of families were crushed, trapped and suffocated; those who could escape from their homes stumbled blindly to open spaces away from the devastation.

Cruel nature could not have struck at a worse time. Nearly the whole of Barce was indoors, waiting to start the evening meal after a day-long fast of Ramadan, when the earthquake reduced every house to a heap of rubble, burying whole families as they sat down to eat.

More than half the town's population of 17,000 was made homeless in minutes. Only the modern Government buildings and the church held out—and even these were seriously cracked.

Within two hours of the first tremor, British soldiers answered an SOS call and left Benghazi, 60 miles away, to help with rescue operations.

First on the scene were men of "C" Company of 1st Battalion, The Devonshire and Dorset Regiment. In pouring rain and high winds they arrived at the stricken town in pitch dark. Divided into search parties of four or five men, the soldiers began the grim task of pulling injured people from beneath the wreckage and digging out bodies. Working by the light of their quarter-ton vehicles, the troops toiled with picks and shovels amid the anguished wailing of women searching for their husbands and children.



مجلة المقتطف

مرفــــء

السنة الـ11

العدد: 77

مارس / ربيع 2012



With picks, shovels and bare hands, British troops dig for victims buried in their homes.

Nearly 300 people died in the disaster, and shifting tons of rubble became a grim job.

An emergency hospital was set up outside the town, where a team of three Royal Army Medical Corps personnel was helping, and some casualties were sent to the British Military Hospital at Benghazi. *Ferrets* of 14th/20th King's Hussars were quickly on the scene and a convoy of vehicles from 43 Independent Platoon, Royal Army Service Corps, shuttled non-stop between the airport and Barce to bring in supplies.

In Benghazi an emergency headquarters was set up to co-ordinate British, American and Libyan aid and 245 Signal Squadron established contact between the headquarters and Barce.

The seething, rubble-strewn town was desperately in need of blankets, tents, medical supplies, food, electricity and rescuers. Within five hours of the SOS the British Army had sent 2000 blankets, stretchers, tents and cooking utensils.

As the first fingers of light crept over the town, the full extent of the damage was revealed. By daybreak, 100 bodies had been recovered and many living victims had been rushed to hospital. In the pathetic town centre, remnants of families squatted round fires built on the ruins which had claimed their relatives while the legions of homeless were sent off to a tented refugee camp erected on the outskirts of the town.

In the daylight a systematic search of the town was organised with the help of The Devonshire and Dorset Regiment. By now the cries for help that had guided the rescuers during the night were heard no more. Quiet descended over Barce. It was a heart-breaking job for the troops. At one house a woman was found under the rubble shielding her children with her arms—they all died together.

One platoon, still searching 36 hours after the death blow, heard signs of life beneath ruins and pulled out a small dog—but the terrified animal was shot when it was found he had a broken back.

Outside the town a Royal Engineers bulldozer had the grisly job of digging a communal grave for nearly 300 people who had died in the earthquake.

A company of 1st Battalion, The Somerset and Cornwall Light Infantry, moved into Barce to give further help when the town was closed to all but the military, and a dusk-to-dawn curfew was imposed to prevent looting.

Last British troops to leave the ill-fated town were members of 245 Signal Squadron, exactly one week after the first tremor. They had been supplying power to the hospital in the Libyan Army barracks on the outskirts of the town but, following another tremor which made the area dangerous, the patients were evacuated, the hospital abandoned, and the British troops' task was completed.

Among the tributes to the work of the British Army was one from the Bishop of Benghazi, leader of the Catholic Church in Libya, who said: "Your work of mercy, in spite of danger and bad weather, will never be forgotten by those with hearts who feel, and with eyes to see. You will be remembered in our prayers for ages."

Now, engineers are drawing up plans for a new town to be built on another site, for what is left of Barce is uninhabitable. It has become a ghost town.

A new car is abandoned in a rubble-strewn street—it was wrecked within minutes by falling masonry.

This picture sums up the horror of Barce—a British soldier tunnels into the rubble in the desperate search for survivors trapped in the town of ruins.

Bewildered and homeless, these Arab children are comforted by Corporal Michael Glover in the tented refugee camp which was erected outside the dead town.

تعليقات الصور:

الجندي الإنجليزي بجانب الأطفال: في مخيم اللاجئين الذي تم نصبه على أطراف المدينة الميتة، تشاهد العريف مايكل جلوفر Corporal Michael Glover يُطمئن هؤلاء الأطفال العرب الذين اصبحوا الآن بدون مأوى، وترى الحيرة تظهر على وجوههم.

الجنود الذين يبحثون تحت الأنقاض: هذه الصورة تعكس مناظر الرعب التي أصابت مدينة المرج – جندي بريطاني يحفر نفقاً بين الأنقاض في محاولة يائسة لإيجاد أحياء محاصرين تحت انقاض المدينة.

الصورة التي تتوسطها السيارة: سيارة جديدة تخلّى عنها صاحبها في شارع امتلأ بحطام الحجارة المتناثرة بفعل الزلزال.

الصورة التي تبين الجنديين المسكين بعمود فولاذي طويل:

بالفؤوس والبالات والأيدي بدون قفازات – يقوم الجنود البريطانيون بالحفر بحثاً عن الضحايا المدفونين تحت انقاض بيوتهم.

توفي حوالي 300 شخص في كارثة الزلزال، ولكن رفع أطنان من الحجارة المحطمة أصبحت عملية مستحيلة.

---

1 (الكارطة) باللهجة العامية الليبية.

2 تسمى المرج باللاتيني Barce والتي تعني (برقة) أي أن برقة سميت بإسمها.

مواضيع لها علاقة (للباحثين):

تقرير من اليونيسكو لآعادة بناء مدينة المرج – الدكتور جايز كازاو مينامي مندوب اليونيسكو إلى ليبيا لتقديم تقرير عن زلزال المرج:

http://unesdoc.unesco.org/images/0000/000077/007706EB.pdf

سؤال السيد هوبكينز من البرلمان البريطاني بتاريخ 18 يونيو 1963 عن ما هي المساعدات التي قدمتها الحكومة البريطانية لضحايا زلزال المرج:

http://hansard.millbanksystems.com/written_answers/1963/jun/18/libya-barce-earthquake

دراسة شاملة عن الهزات الأرضية التي أصابت بعض المدن والقرى الليبية في السابق. قام بالدراسة عبد النور سليمان – باولا ألبيني – باولا ميغليافكا:

http://www.earth-prints.org/bitstream/2122/779/1/17Suleiman.pdf

معلومات أمريكية تفيد بقيام الجيش الأمريكي بمد المساعدات لمدينة المرج:

http://www.globalsecurity.org/military/library/report/1997/humanops.htm

Feb 63 28-21

Four hours after a severe earthquake at Barce, Libya, on 21 February, six USAFE aircraft lifted rescue and medical personnel and supplies from Wheelus Air Base to the disaster scene.

ملاحظة من المترجم:

قمت بعمليات بحث في المكتبات العالمية فاكتشفت أن هناك فيلم لزلزال المرج مدته حوالي دقيقة واحدة – أنصح كل من لديه اهتمام بتاريخنا القيام بشراء هذا الفيلم لأنه سيفيد الأكاديميين والمؤرخين في المستقبل. وتفيد المعلومات أن الهزة الأولى لزلزال المرج استمرت لفترة 15 ثانية، ثم تبعتها هزتان أخريان في صباح اليوم الباكر.

كما تفيد المعلومات أن الأمريكيين قاموا بالمساعدة أيضاً في نقل معدات ومعونات من قاعدة ويلاس Wheelus الأمريكية الواقعة في الملاحة – طرابلس. ولكن يجب أن لا ننس أن الجيش

الليبي تحرّك على مستوى كبير للمساعدة في زلزال المرج، وكذلك المواطنين سواء من بنغازي أو غيرها من المدن الليبية.

(المترجم):

إنها حقاً ذكرى مؤلمة لن أنساها... 21 فبراير 1963م

كان عمري في ذلك الوقت حوالي 12 عاماً... كنت مستلقي على الحصيرة قرب أبي وأمي وبعض الجيران الذين كانوا في زيارة لنا... في مدينة العز بنغازي الخالدة، حينما شعرت وكأنني في مرجاحة خارقة السرعة صعدت وهبطت بي بسرعة أصابتني بدوخة بسيطة، مثل ذلك الشعور الذي ينتابك عندما تقلع بك الطائرة حينما ترتفع عجلاتها عن سطح الأرض، أو ذلك الشعور الذي ينتابك عندما يصعد بك مصعد فائق السرعة.... هكذا لفترة نصف ثانية.. ربما... أو أقل. أصابتنا الدهشة فخرجنا مسرعين لنستفسر عن الأمر.... إلاّ لنجد الكثير من الجيران وهم أيضاً في الشارع وقد أصابتهم الدهشة.... "الشياب" لكونهم كبار السن عرفوا أنه زلزال، فباشروا بالدعاء أن يحفظنا ويحفظ بنغازي وأن يبعد عنا شرور الدنيا.

وبعد فترة جاء الخبر عن طريق شخص كان عنده راديو.... لم تكن أجهزة الراديو متوفرة للجميع في ذلك الوقت.... ناهيك عن التلفزيون الذي لم نسمع به بعد....

يا للمصيبة أنه زلزال كبير في مدينة المرج... مدينة المرج التي أعرف الآن بعد إن تعلمت من التاريخ أنها المدينة العريقة الشامخة التي سميت منطقة برقة بكاملها بإسمها Barce برقه، المدينة التي أحاول جاهدا معرفة لماذا سُميت (المرج) ... هل لأنها تغطى بمروج خضراء في فصل الربيع مطرزة بزهور زاهية من كل الفصائل، كما شاهدتها في بعض الصور؟ ياترى!! سبق وأن زرت هذه المدينة واحببتها منذ الوهلة الأولى.

في اليوم التالي خرج أطفال بنغازي في الشوارع ينشدون في لحن حزين وصوت بريء:

الله .. الله .. يا مرجي الله الله...

الله .. الله ... الله واكبر لا حول الله...

شيء قدير ... مكتوب من الله ايصير...

مكتوب عليك... يا مرجي زلزال ايجيك...

زلزال كبير... مكتوب من الله ايصير...

..... إلى آخر الأنشودة... التي لم أعد اتذكرها، مع أن جيلنا كان يحفظ كافة الأناشيد في ذلك الوقت.

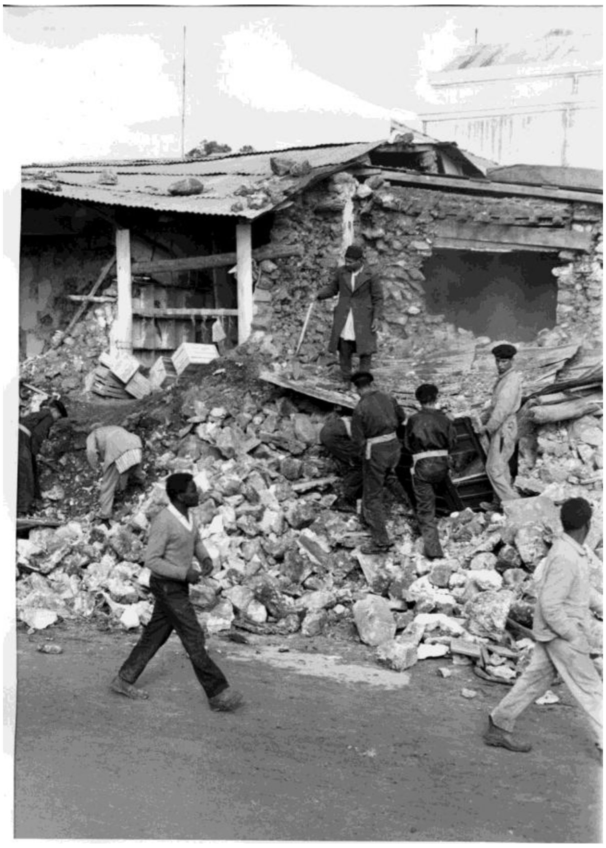
كانت هناك نجوعاً في عام 1963 تحيط بمدينة المرج... فكثير من البدو كانوا يلجأون إلى المدن للانتقال من حياة البادية إلى حياة المدن، كما هو الحال في مدينة بنغازي.. فينصبون خيامهم على أطراف المدينة. شاهدت في بعض الصور وكأن هذه الخيام قد نصبت في وسط بحيرات من الماء، فمع أن ساكنيها نجوا حتما من الزلزال إلا أنهم وجدوا أنفسهم يسبحون في هذه البرك الموحلة العميقة.

ومما زاد الطين بلة (بكل ما تعنيه الكلمة) هو زخات المطر المتوالية وكأن الطبيعة تآمرت على هذه المدينة في هذه العملية الرهيبة، حيث استخدمت كافة ما لديها من أسلحة فتاكة، وكأن الزلزال وحده لا يكفي، فحتى أنها اختارت أن تكون في شهر رمضان والناس متعبون مجهدون بعد يوم طويل من الجوع والعطش... وليكون الزلزال في الظلام الدامس لتعقيد عملية البحث عن الأحياء والمصابين، وعززت كل ذلك بهطول الأمطار الغزيزة والرعد والعواصف لتجتمع كافة عناصر الموت والخوف والشقاء ... ولكن لا نعلم ما يعلمه الله عز وجل ... إذ له في خلقه شؤون.

ندعو الله بالرحمة لضحايا زلزال المرج الشهير....

من مكتبتي الخاصة

الجنود الليبيون يبحثون عن الضحايا بين الأنقاض



مجلة المقتطف

مرفـــء

السنة الـ11

العدد: 77

مارس / ربيع 2012

من مكتبتي الخاصة

سبحانك الله.. كيف نجت هذه الحبوبة؟!



ذكرت (من مكتبتي الخاصة) ليس للتباهي بل لأن هذه الصور هي الصور الأصلية التي أرسلها مراسل الصحيفة من ليبيا. اشتريتها بالمزاد العلني، وعندما فتحت الظرف وجدت الوريقات الأصلية الملصقة خلف الصورة التي كان المراسل يكتب عليها معلومات الصورة مثل التاريخ والمكان الخ.. وعليه اكتشفت أنها الصور الأصلية.

مجلة المقتطف

مرفـــء

السنة الـ11

العدد: 77

مارس / ربيع 2012

لماذا ينتحرُ الزّعماءُ العظماء!

آمال عوّاد رضوان-فلسطين

تعدّدتْ الأشكالُ والأسبابُ والألوانُ، وظلَّ الموتُ يحملُ صبغةً واحدةً هي الموت!
كثيرونَ مِنَ المُعْدَمين الفقراء وهم الأحياءُ المعدومونَ بسياطِ الحياةِ ومواجعِها، ممّنْ ينسحبونَ مِنَ الحياةِ الّتي ليستْ بحياة، لا تأتي على احتوائِهم ذاكرةُ الرّثاء، ويبقوْنَ مجرّدَ أرقامٍ تتداولُها مؤسّساتُ البحوثِ والإحصاءِ، أو يظلّون نكراتٍ في عالمِ الإنكار شأنَ مَن لا شأنَ له، وما أكثرَهم وما أرحبَ شرائحَهم المثقوبة بالفقرِ والذُّلّ، والمُرتّقة بأملٍ بعيدٍ ينوسُ في ضبابِ الأفقِ الهاربِ الّذي لا يأتي.

لكن، وما أن يموتَ زعيمٌ أو أحدُ العظماءِ على فراشِ المرضِ أو الهَرَم أو الخرَفِ، فالأمرُ يمضي مغايرًا إعلاميًا، مغموسًا بنبعِ دمعٍ لايجفُّ، وحدادٍ شعبيٍّ ملوّنٍ بمناديلِ الحزنِ لأيّامٍ وشهور، ثمّ تقومُ مِن بَعدِهِ مهرجاناتٌ وعماراتٌ تحملُ اسمَهُ وريْعَهُ، ليَحصدَ أمجادًا أرضيّةً في حياتِهِ وذكرى لا تخبو حتّى في مماتِهِ!

أمّا وأن يُقتلَ زعماء، فالويلُ لحاضرٍ يتشرذمُ، ثمَّ الويلُ لمستقبلٍ تعُمُّهُ فوضى الضّياعِ والانشطارِ مِن بعْدِهِ بينَ أبناءِ البلدِ الواحد، فيضيعُ الزّعيمُ المقتولُ بينَ البطولةِ والشّماتةِ، وبينَ النّقمةِ عليه والتّرحّمِ على أيّامِه، كما حدثَ تمامًا مع صدّام حسين وياسر عرفات دون ألقاب، كي لا يُؤخذَ على كلامي موقفًا مِن مُعادٍ أو مُحايدٍ أو مُعاضدٍ.

لكن ماذا عن سياسيّين وزعماءَ وملوكٍ وحزبيّينَ ينتحرونَ في لحظةِ حسْمِ انتصارٍ أو انكسار؟..
هل يكونُ في نبْشِ سِيَرِهم إقلاقًا لراحاتِهم الأبديّة، أم هروبًا مِن مواجهةِ مرارةِ الحقيقةِ وشُرْبِ كأسِ العلقم، أم ....؟
وهل فكرةُ الانتحارِ هذه مستجدّةٌ أم قديمةٌ متوارثةٌ منذُ أزلِ التّاريخ؟
وهل الانتحارُ هاجسٌ يُلازمُ الزّعماءَ في جميعِ لحظاتِ حياتِهم؟

ها هو الملك مثير يادس (132-63 ق.م) يخاف الموتَ مسمومًا بأيدي أعدائِهِ، فيطلبُ مِن

مجلة المقتطف

إلى اللقاء

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012

خادمِهِ وضعَ القليلِ مِن السّمومِ في طعامِهِ تدريجيّا ليعتادَ جسمُهُ عليه، وحين قرّرَ الانتحارَ مسمومًا لم يمُتْ، فطلبَ إلى أحدِ حرّاسِهِ أن يدقّ رأسَهُ بحجر!

أمّا الملكةُ بوديسا ملكةُ إنجلترا وقبل قرنيْن مِنَ الزّمان، فقد قادتْ تمرّدًا عنيفًا مُقاوِمًا للامبراطوريّة الرّومانيّة، وحينَ فشلتْ في تحقيقِ الحرّيّةِ لشعبِها تناولتِ السّمَّ بيدِها، وفرّتْ إلى الموتِ برجْليْها!

أمّا هانيبال الأسطورة القرطاجي/ الليبي وأعظمُ القادةِ العسكريّينَ في التّاريخ ما بين (221-183 ق. م)، فقد كان بارعًا بالتكتيكِ العسكريّ والتخطيطِ في مواجهةِ الامبراطوريّةِ الرّومانيّة، ولكن حينَ أيقنَ بحتميّةِ وقوعِهِ أسيرًا، تعلّقَ بحرّيّتِهِ وآثرَ الانتحارَ رفضًا للإهانة!
وها مارك أنطوني القائد الرّومانيّ وعشيقُ كليوباترا، يحاولُ التّصدّي لقوّات أوكتافيانوس قيصر روما الجديد، التي وصلتْ إلى مشارفِ الإسكندريّة في صيف عام 30 ق.م، وحين ذهبتْ جهودُهُ سدًى، وبلَغَهُ كذبًا موتُ كليوباترا فضّل الموتَ على الحياةِ بتناول السّمّ، ليتلوهُ انتحارُ الملكة الفرعونيّة كليوباترا بالأفعى السّامّة، بعدَ سماعِها خبرَ انتحارِ حبيبِها أنطونيوس!
لماذا ينتحرانِ في نفس التّوقيتِ؟.
أهو حزنٌ على حبِّهما أم وفاء؟
أهو شكلٌ من التّواري عن الهزيمةِ العسكريّة والفضيحة وخوفًا منَ الأسْر والمشي بالأكبال بالحديد في مواكب النصر الرّومانيّ؟

أمّا نيرون إمبراطور الإمبراطوريّة الرّومانيّة عام (27 – 68)، فقد كثرتِ المؤامراتُ والاغتيالاتُ السّياسيّة، وكانتْ أمُّهُ "أجريبينا" إحدى ضحاياه فماتتْ وهي تلعنُه، وقتل "أوكتافيا" زوجتَهُ بالصّولجانِ أثناءَ أدائِهِ مسرحيّة، وأشهرُ جرائمِهِ إحراقُ روما عام 64م، مشيرًا بإصبع الاتّهام إلى المسيحيّين، وليتحوّلَ إلى اضطهادِهم وتعذيبهم بوحشيّة، فعمّ الإفلاسُ والفوضى لكثرة الحروبِ الأهليّة، وصار نيرون عدوَّ الشّعب، ولا يسعُهُ حينذاك، إلاّ أن يدسَّ خنجرًا مسمومًا في معدتِهِ!

الزّبّاءُ ملكة الجزيرة وقنسرين حين وقعت في أيدي قصير وعمرو، وكانتْ جميلةً حكيمةً حازمة، فعزمتْ على الثأر مِن قاتل أبيها ودعتْ جذيمة إلى قصرِها، فنصَحَهُ قصير بن سعد بعدم الثقة بدعوتِها، لكنّهُ لم يُبالِ بالنّصيحة، فقبضتْ عليهِ وقطعتْ "راهشيه" ليهلكَ نزفًا. ويصمّمُ عمرو بن عدي على الثأر منها، فاحتال الدّاهية قصير بن سعد من حاشيةِ جذيمة ومِن رجال عمرو بن عدي بجدع أنفِهِ وقطع أذنيْهِ، وقصدَ الزّبّاءَ شاكيًا، زاعمًا أنّ عمرو بن عدي فعل هذا، وحين أمنته، قام بإدخال جنود عمرو بن عدي في "جوالق" محمولة على الجمال واحتلّوا مدينتها، وحينَ وصلَ إليها عمرو بن عدي، مصّتِ السّمَّ الذي تحتفظ بهِ في أحدِ خواتمِها قائلة:
"بيدي.. لا بيد ابن عدي"، مؤْثرةً بذلكَ أن تنتحرَ على أن يقتلَها عمرو!

أما أدولف هتلر السياسي الألماني النازي المولود في النمسا (1889 – 1945)، وزعيم حزب العمال الاشتراكي الوطني، فقد تميز بكاريزما فذة في إلقاء الخطب، والذي اختارته مجلّة تايم واحدًا مِن مائةِ شخصيّةٍ تركتْ أثرًا كبيرًا في تاريخ البشريّة، في معاداةِ السّاميّة والشيوعيّة، والعمل على إرساءِ دعائم نظامٍ تحكمُهُ النّزعةُ الفاشيّةُ الدّكتاتوريّة، مِن أجل رخاءِ ألمانيا، لكن، وفي الحربِ العالميّةِ الثانية تمكّنتْ جيوشُ الحلفاءِ مِن احتياحِ ألمانيا مِن جميع جوانبِها، ممّا اضطرّ أدولف هتلر وزوجتُه إيفا براون الانتحار!

وأخيرًا..

هل لانتحارِ العظماءِ فلسفةٌ شرَخَها الفشلُ في متابعةِ ومزاولةِ مهامّ مارسوها مِن قبل.. أم.....؟

كتاب العدد

القائمة مرتبة ألف بائياً

ابتسام محفوظ أبومحفوظ
باحثة – مصر

أبوالقاسم اشتيوي
كاتب – ليبيا

أسماء مصطفى الأسطى
شاعرة – ليبيا

المصطفى سلام
ناقد – المغرب

آمال عواد رضوان
كاتبة – فلسطين

بثينة العيسى
روائية – الكويت

سميرة البوزيدي
شاعرة – ليبيا

صلاح انقاب
كاتب – ليبيا

عبدالنبي بوسيف ياسين
كاتب – ليبيا

عزة المقهور
قاصة – ليبيا

علي افتيتة
كاتب – ليبيا

فاطمة غندور
باحثة – ليبيا

محمد المصراتي
قاص – بريطانيا

محمد النعاس
قاص – ليبيا

نضير الخزرجي
باحث – العراق

نمر سعدي
شاعر – فلسطين

هند علي
صحافية – ليبيا

يونس الهمالي بنينة
كاتب ومترجم – بريطانيا

مجلة

المقتطف

إلى اللقاء

السنة الـ11
العدد: 77
مارس / ربيع 2012